الزواج والعائلة عند البدائيين

بقلم اميل توفيق

في الواقع ان الحرية الجنسية التي يمارسها كثير من القبائل البدائية في بعض المناسبات، انما توجد جنبا الى جنب مع القواعد الاخلاقية الصارمة التي تتحكم في تنظيم العائلي ونظم الزواج .

ومن الغريب ان فكرة الزواج عند بعض القبائل فكرة اصيلة ولها اهتمام خاص ، لدرجة ان الطفل ، من اي جنس ، قد تعين له زوجه ، بل ان بعض الاسر قد جرى على هذا التعيين قبل مولد الطفل . ومن ذلك تدرك اهمية فكرة الزواج ـ كحق الرجل والمراة ـ في عقلية الانسان البدائي .

وحتى بين القبائل التي تقر اشباع الرغبات الجنسية بين شبابها ، يبدو ان الزواج ضرورة لا غنى عنها ، فيجب ان تكون للرجل زوجة تعمل معه وتنشىء اولاده . وينظر الى الزوجين العقيمين نظرة عطف ، وفي بعض الاحوال نظرة رعب ـ فانهما في عرفهم قد اغضبا الآلهة . فالزواج عندهم واجب من اهم الواجبات .

ويرى الناس في الصين ان الفرد ـ رجلا كان او امراة ـ الذي يموت بغير ان ينجب ولدا ، يراه الناس منكود الحظ سيىء الطالع ، بل يعتبرون ذلك جرحا لشعور الاسلاف من افراد الاسرة ، اذ كيف يمكن ان تجرى عبادة الاسلاف ، وكيف يمكن اجراء الطقوس وتنظيم الحفلات التي تتعلق بالميت ؟

والفكرة نفسها متواترة عند الساميين ، في حين ان العبريين يرون الزواج واجبا مقدسا . والاسلام يجعل الزواج عند الاكفاء واجبا ارتباطيا . واما عند الاغريق والرومان القدامى فقد كانت للزواج اهمية عامة، كما كانت له اهميته الخاصة ، وفي الهند ما تزال هناك الفكرة السائدة بان انجاب الاولاد له اهميته للقيام بالطقوس الجنائزية .

اما عن مدى الزواج الزمني ـ فالاتحاد الزواجي يختلف مداه باختلاف القبائل بحيث لا يمكن استنتاج قاعدة عامة تسري على الجميع . فعند بعضها يمتد اتحاد الزوجين لليلة واحدة . وعند البعض الاخر ـ كما هو معروف في المسيحية الكاثوليكية ـ الاتحاد لا تنفصم عراه ابدا وبين هذين توجد درجات لهذا المدى . ويظن ان في استطاعة البدائي ان يفصم عرى الزواج اذا كانت زوجه ليست جديرة باشباع رغباته . وهنالك عند القبائل المتاخرة توجد صورة الزواج المؤقت ، واحيانا يحدث بسبب الهجر او التبادل الزوجي ـ ومهما يكن من سبب فالوحدة الاجتماعية في تكوينها هي الوحدة العائلية .

وعندما تكون الحياة قاسية ، والظروف ملحة على العمل او السعي وراء الطعام ، وبناء المأوى ، نجد مدى الاتحاد الزواجي اطول عمرا ، واعمق ترابطا ، ولكن في المناطق التي يسهل العيش فيها ، يمكن الزوجة ان تستغني تماما عن الزوج في امر معاشها ومأكل اولادها .

وعلى ذلك فمن الجائز ان يكون العامل الاقتصادي هو الذي يقرر لمثل هذه الجماعات ، مدى الاتحاد بين الزوجين ، كما يرسم لهم خط النسب . ففي حالة انتساب الابناء الى امهاتهم لا يلزم الاب ان يعول زوجه واولاده في حين ان على الخال (او من يرتبط برباط مماثل مع الزوجة) واجبات معينة لهؤلاء الاطفال ، كما ان له عليهم حقوقا معينة كذلك . فالزواج عند هؤلاء البدائيين قبل كل شيء ـ تقليد اجتماعي ـ والصورة التي ياخذها الزواج صورة تحددها المكونات الاجتماعية والاقتصادية لتلك الجماعات .

حقيقة قد يكون العامل الغالب هو العامل الاقتصادي، عند البعض ، او ان يكون العامل الاجتماعي هو الغالب عند البعض الاخر ـ ولكن مركز المراة ، وعلاقات القرابة وخط النسب ، والافكار العامة التي تسود الجماعة عن الملكية والتملك . . كل هذه تخضع الى المكونات الاجتماعية السائدة او الدستور الاجتماعي المفروض ، بجانب الاحوال الاقتصادية .

وقد تجد جماعة من الناس لا يهتمون بالملكية ـ بقدر ما يهتمون بالشرف ، في حين ان جماعة اخرى يخضعون كل شيء للظروف الاقتصادية ، حتى الشرف .

واذا بحثنا مسالة الزواج والجنس ، فيجب ان نفرق بين العلاقات الجنسية والزواج . فلو ان الزواج كان مدفوعا بالعلاقات الجنسية فحسب ، فانه من الصعب ان نفسر لماذا ينكمش الزواج في المجتمعات التي تقر اوضاع الاتصال الجنسي بين العزاب . ففي جزر المحيط وبين سكان ميلانيزيا ، والساموا ، والمغول وبعض السود لا يمنع الاتصال الجنسي بين الشباب .

وبينما ينظر الى مسالة فض البكارة عند بعض القبائل على انها شيء معيب ـ ينظر اليه عند البعض الاخر على انه واجب محتوم قبل الزواج ـ وقد يمارسه بطريقة طبيعية او بطريقة آلية بعض الاباء عند جماعة الباتاك في سومطره وسكان جزر البليو في ميكرونيزيا ـ وتمارسه الامهات او المتقدمات في السن او القابلات عند بعض جماعات الفلبين ـ والكهان في كمبوديا ، والهند الصينية ـ وقد يمارسه اشخاص يقومون بهذا العمل نظير اجر معلوم.

مراجع البحث : 1) Anthropology, by Boas 2) Historical Sociology, an Introduction to Societal Evolution & Culture by Vernon Brelsford.

ومركز الفتاة عند البعض يعلو في نظر الزوج اذا عرف انها حملت او انها ولدت من قبل . وعند البعض الاخر لا يمكن الفتاة ان تحظى بزوج الا اذا كانت قد اكتسبت مهرا عن طريق اتصالها الجنسي السابق .

اما الزواج الجماعي فهو يقترن دائما بضعف الترابط التزاوجي وفي بعض الاحوال ترجع هذه الصورة من الزواج الى اتصال حضارة ما بحضارة ارقى منها او بسبب انحلال هذه الحضارة الضعيفة ـ فمن امثلة ذلك ما كان شائعا في بعض العبادات القديمة كعبادة افروديت في ابيدوس ـ وافيس وميليتا في بابل حيث كانت النساء في فترة ما من فترات حياتهن يقيدن في الهيكل فيضطجع معهن الاجانب من الرجال . فقد كانت هذه كلها نوعا من التضحيات والتقدمات تقدم للقوة الغازية والسكان الغالبين .

وتتمثل في الزواج الجماعي ـ وقد نظر اليه البعض خطأ على انه شيوعية جنسية ـ محاولة تنظيم العلاقات الجنسية ، وشئون القرابة ـ ويذكر وستر مارك في كتابه (تاريخ الزواج الانساني) بان الزواج الجماعي يوجد جنبا الى جنب فقط بين الجماعات التي تمارس الزواج في صورة تسمى « بوليندري » اي زواج عدة رجال بامراة واحدة ، كما يحدث في التبت ، وبعض المناطق في الهند وفي سيلان وفي غيرها ، حيث توجد ايضا الصورة الاخرى من الزواج المسماة « بوليجيني » اي زواج عدة نساء برجل واحد ، وكذلك الزواج الذي يتقاسمه عدة رجال بعدة زوجات في مشاركة تامة . وبين قبائل التودا في تلال نلجيري بجنوب الهند ـ كانت تسود ظاهرة زواج الاخوين بامراة واحدة . وقد صار في مقدور الاخوين ـ الان ـ ان يتزوجا من زوجتين مشتركتين بينهما (كما اتى في بحث « رفرز ») .

وتتكرر هذه الظاهرة بين قبائل النيرز على ساحل الملابار ـ كما انها تتواتر بشكل اوضح في التبت ومنطقة الهيملايا حيث يتكون البيت الواحد من عدة رجال يتقاسمون الزواج معا بعدة نساء .

ويحدثنا « سيزار » عن الزواج عند البريتون القدامى فيقول انهم يمارسون نوعا من الزواج الجماعي هو زواج الاخوة بعدد من الزوجات الشقيقات ، واما الابناء الذين ينحدرون من هذه الفوضى الشيوعية فانهم ينسبون الى الزوجين الاولين اللذين احتفلا بالزواج اول حفل . وعند بعض قبائل استراليا الوسطى ، يحق لبعض الافراد ، في مناسبات خاصة وفي طوقس واعياد معينة ان يمارسوا الاتصال الجنسي بعدة نساء ، رغم ان الواحدة منهن تكون متزوجة لرجل واحد .

وقبيلة الديري هي احدى قبائل استراليا الوسطى ـ وفيها الزواج الجماعي ـ والزواج الفردي . وفي الزواج الجماعي يحق لبعض الرجال وبعض النساء ، اللذين تربطهم روابط قرابة معينة ان يتزاوجوا عندما يتقابلون في جماعات . وعندما ينفصلون عن الجماعة يتحد كل زوجين في زواج فردي محدد .

ولما كان هذا النوع من الزواج يرتبط بما يسمونه بالزواج الخارجي ، وهذا بالتالي يفهم في ضوء التنظيم القبلي ، وجب ان نفهم المعنى الخاص بكل من القبيلة والعشيرة .

القبيلة

يعنى بها عادة جماعة من الناس تجمعهم لغة واحدة ، واستقلال اقتصادي ، ويرتبطون معا بواجبات الدفاع عن كيانهم اذا ما هاجمهم الخوارج .

وينبغي ان نقول : ان المعاني التي يتضمنها هذا التعريف تختلف باختلاف القبائل . فجماعة التودا الهندية يسمون قبيلة ومع ذلك فهم ليسوا مستقلين اقتصاديا ـ وقبيلة الدوبوا في غينيا الجديدة ، تنتظم جماعات قروية معادية ـ ولا تجتمع هذه الجماعات في وحدة اجتماعية الا في ظروف ومناسبات نادرة . ومع ذلك يبدو ان هذا التعريف عن القبيلة تعريف واسع جامع لانه في الغالب يتضمن خصائص الغالبية من القبائل .

واهم ما توصف بها القبيلة انها مجتمع مغلق ـ بمعنى ان القانون وقواعد الاداب والسلوك انما تطبق فقط على افراد القبيلة ـ فليس للاجانب ان يعاملوا بنفس ذلك القانون او تلك القواعد والاصول . والانسان القبلي يرى ان يطلق على اعضاء قبيلته لفظ (ناسي) او (اهلي) وما عداهم فهم (ليسوا اهلي) ـ ولذلك فهناك اصول ينبغي ان تتبع بالنسبة الى (اهلي) وبعضها اخلاقي فعلا ـ فاذا قتل فرد منهم احدا من ابناء قبيلته ، فان ذلك يعتبر منتهى الاثم . اما اذا كان القتيل او المعتدى عليه من قبيلة اخرى ، اتخذ الحادث دلالة دينية عظمى بالنسبة لاعضاء القبيلة . ومن امثلة ذلك بين قبائل جزر المحيط ما يحدث من الاعتداء على الاجانب لغرض ديني ـ كان يضحى باجنبي في سبيل تدشين زورق او منزل ـ فليس عليهم ان يطبقوا قواعد الاخلاق او اصول السلوك المتبعة ، بالنسبة الى غيرهم من القبائل الاخرى .

العشيرة

الاسرة في الوقت الحاضر تتحدد بنسبين هما نسب الاب ونسب الام ، اي نسب ازدواجي اما البدائيون فينسبون الطفل الى احد الابوين فقط اما الاب واما الام. حقيقة ان الاسرة في العصر الحالي تميل الى توكيد النسب الابوي ـ فالاب هو راس الاسرة ، والوراثة تسير في خط النسب الامي ـ كما نجد ذلك واضحا في الشريعة الاسلامية .

اما بين القبائل البدائية فليس هناك ضرورة لهذا

تائهــــة

صحراء مالك قد اضعت حدودي … فضللتُ في لحن الحياة قصيدي

لمع السراب لناظري فوردتُه … يا للسراب . . الخادع المورود

أعدو . وبي ظمأ وحرقةُ واجد … جهدُ المحبِّ الظامىء المفؤود

من لي بمتكيء بجانب دَوْحَةٍ … ألقي اليه بجسميَ المكدود

صحراء ضجَّ بيَ الحنين لهجعة … أبدية . . تمحو أليم وجودي

ما هذه الدنيا . وما لذاتها … الا سراباً في رمال البيدِ

من لي بكأس من سراب مشاعري … وخواطري أنسى به مجهودي

صحراء . أنت أنا . وورْدُكِ موردي … وأنا وأنت صدى الليالي السود

لو كان بي جلَدٌ ضممتكِ ضمةً … جزع الزمان لها وفكّ قيودي

صــور — زهـرة الحـر

الازدواج وفي بقاع كثيرة ينتسب الطفل الى اسرة امه — في حين ان البعض الاخر ، ينظم النسب على اساس الاب فقط وهو ما يعرف بالنسب الابوي — فالوراثة تسير في خط واحد فحسب ، وهذا النوع من الاسرة تسمى الاسرة ذات النسب المنفرد . والاسر المنفردة النسب تسمى عشائر . وبعض الاصطلاحات في اللغة الانجليزية حددت المعنى اكثر من ذلك فسميت الاسرة التي نسبها ابوي « جنس » والاسرة التي نسبها امي « كلان » — ولذلك فان الاصطلاح العام الذي يتخذه بعض علماء الانتروبولوجيا الامريكيين هو لفظ « سب » بمعنى العشيرة او (الاسرة ذات النسب المنفرد) — ونحن هنا لا نفرق بين « كلان » او « سب » .

ولا تقتصر العضوية في العشيرة على اعضاء الاسرة الواحدة فمثلا في العشيرة ذات النسب الامي — نجد العشيرة تنتظم المرأة واولادها ، واولاد بناتها ، واولاد بنات بناتها وهكذا . وعلى ذلك فالاولاد ينسبون الى عشيرة امهم ، وهم بذلك يختلفون في النسب عن عشيرة ابيهم . ويجب ان يفهم ان اعضاء العشيرة الواحدة لا يتزاوجون ، وانما يجرى التزاوج من اعضاء العشائر الاخرى التي تتكون منها القبيلة ، والزواج خارجي بالنسبة للعشيرة ، وهو داخلي بالنسبة للقبيلة .

فالتنظيم الاجتماعي ليس تنظيما سهلا او بسيطا بل انه تنظيم معقد في غالب الاحيان . فعند الاستراليين الاصليين تنقسم القبيلة الواحدة الى عشائر وهذه الى شطائر تنقسم الى طبقات زواجية ، وطبقات اخوية ، ووحدات اصغر . وليس هذا فحسب بل ان مبدا النسب يدخل في جميع العلاقات والقيود الزواجية — بل ان هناك ترابطا بين الحياة الاقتصادية والتنظيم الاجتماعي والدين فيما يسمى بالنظام التوتمي .

ولكي نستطيع ان نخرج بنتيجة صحيحة عن العلاقة بين صور الزواج والعوامل المؤثرة كالعامل الاقتصادي مثلا — ينبغي ان نعمل على تحليل المجتمع الحضاري تحليلا نفسيا ، بحيث لا تصبح نظرتنا منصبة على الشكل المعين ، بل على الدافع النفسي للموقف الذي اتخذ ذلك الشكل المعين . فان الدوافع النفسية تختلف وتتباين من مجتمع الى آخر .

القـاهـرة — اميل توفيـق

حفني ناصف

بقلم انور الجندي

تمر بنا هذا الشهر ذكرى عزيزة غالية لعلم من اعلام ادبنا العربي المعاصر وواحد من الرواد الاول الذين كانوا اساتذة للمفكرين الذين برزوا في محيط الحركة الفكرية في اوائل هذا القرن : هي ذكرى حفني ناصف الشاعر الكاتب الذي ظلت آثاره الشعرية مطمورة اكثر من اربعين عاما حتى صدرت في العام الماضي بمجهود مشترك ساهم فيه ابناء الفقيد والمجلس الاعلى للاداب والفنون بالقاهرة :

وعندما شب حفني ناصف كان جمال الدين الافغاني الثائر الاسلامي وداعية الحرية الاكبر يمر في جولته الطويلة بين ايران والافغان والهند ومصر واوربا وتركيا ، ثم يستقر به المقام في القاهرة سنوات يهز فيها العقول الراكدة ويثير في نفوس الشباب المثقف حياة فكرية جديدة قوامها الحرية والمقاومة والتجمع ، ولذلك لم يلبث حفني ناصف ان تأثر خطا جمال فاذا بالثورة العربية تندلع ـ وهي اثر من آثار جمال الدين الافغاني ـ فيشارك فيها محاربا وشاعرا وخطيبا. وكان يكتب الخطب ويوزعها على خطباء المساجد ثم يمضي حفني ناصف مشاركا في كل مظهر من مظاهر الحياة الفكرية المصرية فيعمل مع محمد عبده وسعد زغلول في الوقائع المصرية ويضع اسس النحو وتاريخ الادب لوزارة المعارف ويشترك في تأسيس الجامعة المصرية ويعمل سكرتيرا لها ثم استاذا لتاريخ اداب اللغة العربية ويرؤس المجمع اللغوي الاول ونادي دار العلوم .

ويصبح خلال هذه الفترة الحافلة التي مرت فيها البلاد استاذا لعدد من قادة النهضة امثال مصطفى كامل وطلعت حرب واحمد شوقي وعبد الخالق ثروت وعبد العزيز فهمي ولطفي السيد واحمد لطفي محامي الحزب الوطني وعزيز خانجي .

وقد عمل حفني ناصف في ميدان القضاء فترجم القانون مع شفيق منصور يكن ورفيق فتحي ثم اصبح قاضيا فوكيلا لمحكمة طنطا وكان مثلا للقاضي العادل ومما يعرف عنه انه حكم على مدير طنطا لانه يسكن قصرا بدون اجر وامر بان يخرج متاعه بالقوة .

وعمل في ميدان الصحافة فكان يكتب في الاهرام بتوقيع « ادريس محمدين » مقالات جريئة لفتت الانظار لمطالبتها بالاصلاح مما دفع صاحب الاهرام الى ان يعرض عليه الاشتغال بالصحافة ، كما كتب في المؤيد .

وفي ميدان التاليف له عديد من المؤلفات منها : غريب لغة الصعيد ، والامثال العامية ، ورسالة في الربا ، ورسالة في المسميات الحديثة ، ورسالة في المنطق ، وكتاب القطار السريع لعلم البديع .

واشترك في عدد من المؤتمرات من اهمها : مؤتمر العلوم الشرقية بمدينة فيينا وقدم اليه رسالتين عن مارية القبطية والسيدة هاجر وتاثيرهما في اللغة العربية كما قدم كتابا اسماه « مميزات لغات العرب » .

وفي مجال اللغة العربية اشترك في المجلس العلمي ووضع عددا كبيرا من الاسماء لمسميات جديدة .

وكان قد عين بعد وفاة الشيخ حمزة فتح الله مفتش اول لوزارة المعارف فشارك في اعداد مناهج الدراسة وبرامج التعليم كما اشتغل بالتدريس في مدرسة الحقوق وكلية الاداب ودار العلوم .

ومن ابرز آثاره العملية اعادة كتابه المصحف الشريف على نسق الرسم الذي كتبه به الخليفة عثمان بن عفان وذلك حفظا للدين واللغة .

وقد لقي في سبيل ذلك العمل عنتا كبيرا وتكلف مشقة بالغة فقد جمع اشتاتا من المخطوطات واخذ يقارن بينها واستخلص منها قواعد الرسم للمصحف في رسالة صغيرة ثم بدا يصحح الرسم الذي كان موجودا ــ اذاك ــ على قواعدها مواليا عمله ثلاث سنوات يساعده في ذلك عالمان فاضلان هما : احمد السكندري ومصطفى العناني وقد كان يولي هذا العمل اهتماما كبيرا ويراه قربانا الى نفسه وهو في غاية العمر وسعدت نفسه حينما اتيح له ان يصحح المسودات الاخيرة وكانما كان ذلك ايذانا بانقضاء العمر .

وكان من ابلغ احداث حياته وفاة ابنته «باحثة البادية» في سن الثالثة والثلاثين وهي في مقتبل الشباب وبالرغم من ايمانه بالله فان الحادث هزه هزا عنيفا حتى انه عندما ذهب الى الجامعة ليحضر حفل تابينها هزه الموقف وتعاظمه الامر فاعيد الى بيته محمولا وقضى بضع ايام في حالة الغيبوبة حتى توفي في مطالع ثورة ١٩١٩ (٢٥ فبراير) التي شارك فيها ابناؤه مشاركة فعالة .

وكانت باحثة البادية : ملك حفني ناصف اكبر ابنائه وقد احبها حبا عجيبا ورباها على الوطنية والتضحية والعلم ، وكان يراسلها غائبة ويستمع اليها حاضرة . فيرى فيها ثمرة غرسه اذ كانت (ملك) مصلحة اجتماعية آمنت بان مكان المراة البيت وبالرغم من انها هي اول فتاة مصرية تصل الى التعليم العالي ، وتكتب في الجريدة وتحاضر في الجامعة ، فقد عارضت قاسم امين في اطلاق الحرية للفتاة ودعت الى النهوض بالمراة بما يتفق مع الدين والتقاليد . وقد توفيت في ١٧ اكتوبر ١٩١٨ ولم يبق حفني ناصف بعدها الا شهورا .

وكان حفني ناصف العالم الشاعر انسانا ممتازا رقيق الحس مرحا يحب الموسيقى ويولع بالنغم والفكاهة والسخرية الحلوة العذبة ويحسن تقليد الشوام والبرابرة

والصعايدة والاروام في لهجاتهم .

وقد اتيح له ان يرحل ويكسب من رحلاته مزيدا من التجربة والخبرة والثقافة ، فقد زار الشام والاستانة وبلاد اليونان واسيا الصغرى ورومانيا والنمسا والمانيا وسويسرا والسويد وبلاد العرب .

وفي خلال رحلاته اجتمع باعلام الفكر ولقي عددا من المستشرقين وصحح آراءهم فقد كان صادق الايمان بعظمة التراث العربي وامجاد الامة العربية ومما يروى عنه انه علم مقرىء جامع (اياصوفيا) في الاستانة قراءة القرآن وله فكاهات ونكات وامازيح .

ولعل من اجمل هذه الفكاهات قصة الستة الذين وقفوا على قبر الشيخ محمد عبده يرثونه ثم دب فيهم الموت على الترتيب الذي تحدثوا به ، ولم يبق منهم غيره وغير حافظ ابرهيم وكان هو قد سبق حافظا في القاء قصيدته فكتب الى حافظ يقول له ان يلقي نفسه تحت القطار ولا يخف وينام تحت بيت الوقف فهو مهدم فانه لن يموت حتى يسبقه الى الفناء ! . .

اتذكر اذ كنا على القبر ستة	نعدد آثار الامام ونندب
ابو خطوة ولى وتقفاه عاصم	وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعيره شمس قاسم	وعما قليل نجم محياي يغرب
فلا تخش هلكا ما حييت وان امت	فما انت الا خالف تترقب
تخاطر وقع تحت القطار ولا تخف	ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء اعزل آمنا	فان المنايا منك تجري وتهرب

وفي هذا الشعر من الفكاهة والسخرية ما فيه حتى ان حافظ ابرهيم رثى نفسه بعد ان مات حفني بقصيدة بداها هكذا :

« آذنت شمس حياتي بالمغيب » ولكن حافظا عاش بعد حفني ناصف بضعة عشر عاما . . .

وقد عاش حفني ناصف ثلاثة وستين عاما اذ ولد عام ١٨٥٦ وعندما ادخل المكتب وضربه الفقيه ركب دابة من قريته ويمم نحو القاهرة فدخل الازهر الشريف فأمضى بها تسع سنين ثم دخل دار العلوم فاحرز شهادتها وعين ناظرا لمدرسة العمي والخرس .

وقد ترك حفني ناصف في ابنائه اثرا كبيرا فقد انعكست اخلاقه ومبادئه وايمانه الاكيد بالعربية والوطن على بنيه فكما اشترك حفني ناصف في الثورة العربية اشترك عصام الدين حفني ناصف في ثورة ١٩١٩ مع شقيقه مجد الدين الذي قال لي : ان السر في تأخر طبع ديوان والده ان شعره وآثاره قد ضاعت ابان الثورة فقد كنت وشقيقي قد اشتركنا فيها وكان منزلنا يفتش مرات متعددة ، وفي كل هجمة من هجمات البوليس للبحث عنا كانت تحمل آثار حفني ناصف من بين ما يحمل ولا تعود فكان من الضروري العودة الى الصحف في اكثر من ثلاثين عاما لنقل المقالات والقصائد . وهي عملية جد شاقة » وقد الف عصام الدين اكثر من ثلاثين كتابا .

ويعد حفني ناصف الحلقة الوسطى في نهضة الشعر العربي المعاصر التي تأتي في المرحلة التالية للحركة التي بداها محمود سامي البارودي وسار فيها حفني ناصف واسماعيل صبري وبلغت مداها في حافظ وشوقي وكانت في مجموعها تمثل مرحلة التحول عن الشعر القديم الى الشعر الحديث التي يمثلها خليل مطران والعقاد والمازني وشكري وابي شادي .

وقد كان شعر حفني ناصف سهلا رقيقا مصقول الصناعة يحمل الفكاهة الخفيفة .

وجملة القول فيه ما قاله العقاد « ما من طالب في زماننا ولا في الجيل الماضي الا وهو مدين الرجل ببعض معرفته وثقافته وشاكر له خطا من معلوماته ودروسه » .

القاهرة

انور الجندي

المــرأة فــي الادب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

ليس من السهل ان نستقصي بحث هذه الناحية ، لان كتب التاريخ التي وصلت الينا لم تذكر بحثا مستفيضا عن سبب حلق المراة ومكرها ، فان قصر التاريخ قديما فكتب الادب قد كفلت سد هذه الثلمة ، وفيها البغية التي نرمي اليها ، فنتعرف الى الوجه النضير فن كثب ، ونعلم ما لحقد من ظلم ، قاده الى الاعتصام بالمكر والحيل والخداع ، ولم يكن هذا طبعا فيه ، كما اثبت ذلك علماء النفس الا ان ظلم القوي القادر حمل المراة على ذلك .

ونحن نعلم جيدا ان الخداع والمكر ، لا يسيطران على المرء الا اذا اصابه سوء وحل به بلاء ، فيحتال بما عنده من قوة تفكير ليتخلص مما بلي فيه ، لان مطلق ذي حياة سواء كان رفيعا أو وضيعا يحب العيش الرغد ، ويحب ان يستمتع بالوجود ، ويتملى من جمال ما فيه وقديما انشد ابو الطيب المتنبي :

ومن لا يعشق الدنيا قديما ؟ ولكن لا سبيل الى الوصال

اليست الحياة ملكا للاحياء ؟ لهم حق الاستمتاع بما يقع تحت نظرهم ويحسونه ، اما خلق المبدع هذه الكائنات وجعل فيها مطلق الحيوان ومنحه قوة يضمن بها بقاء نوعه ، سلحه بما يدافع به عن نفسه ، ويدرا عنه الكرب ؟ وماشذت القاعدة فيما نعلم .

ترى امن فرق بين ما ندعوه ذكرا وما ندعوه انثى ؟ اليس حق الحياة واحدا في هذا الكوكب المدعو ارضا ؟ فلم يستبد القوي بالضعيف ؟ ولم يرغب القوي في ان يوسع على نفسه ويستغل الضعيف ؟ ونحن نعلم ونعلم جيدا أن ليس من العقل ولا العدل في شيء ان يستدر القوي ما يطيب له من الضعيف ، فيسرح ويمرح خلي البال رضي الحال ، يضحي بمن دونه على مطامع راحته واطمئنانه .

ان القوانين التي سنت على ممر الزمن لم تكن بمصلحة الضعيف بقدر ما هي بمصلحة القوي المقتدر ، وكلنا نعلم ان الغنم كان قديما للمقتدر ، ولا يقع الغرم الا على المستضعف ولما يزل ، وما اعلم ان الحياة تبدلت وان طبع الانسان تغير ، ولم تكن المراة مستضعفة في الشرق وحده ، بل كانت كذلك في العالمين القديم والحديث ، فالرجل كان ولما يزل هو الذي يطلب الانثى وهو الذي يختارها ، وما عليها الا الاذعان والخضوع والسير في ركابه ملبية ارادته ، واقفة نفسها على خدمته ومسراته .

ولا ريب ان الانثى التي ترى نفسها مقيدة باوضاع اجتماعية تجعلها آلة للذة او خدمة وتمنع عنها مسرات الحياة الا ما اراده لها الرجل ، من ان تعمل الفكر والحذق والنباهة ما استطاعت لتستعيض عما ينقصها ولو شيئا ضئيلا .

ولم ينظر الرجل في مراحل الحياة كلها الى المراة الا اداة متعة ، يستمتع بها ثم يزدريها ، لينقلب الى غيرها ؛ وقد طغت سوق الرقيق فكثرت الجواري ولا سيما في العصور الوسطى ، فاستكثر المقتدر الغني منهن ما استطاع اليهن سبيلا ، فكانت الغيرة بينهن وكانت الحيل بين الضرائر والزميلات ، وتمشي الخداع في العيلة ، والتفرقة بين الاخوة ، وباتت الحياة بين مد وجزر ، بين استرضاء واحتقار ، قرب وبعد ، ملاصقة وافتراق والحياة تكر والانسان لا يحس الا بما يلمسه ويقع تحت بصره ، والانانية تعمل عملها ولا مفر منها ، مهما حاول أن يتخلص منها فهي المسيطرة على كيانه ، انها وحدها العاملة المتصرفة بالانسان ، فلا سبيل الى استئصالها ، لان الطمانينة والراحة وتطلب السعادة والرفاهية هي الهدف الذي يرمي اليه كل داب ذي حياة على وجه هذه الغبراء . والمراة لم تكن فيما مضى من الاجيال الا الشخص المستضعف ، لا تاوي الا الى كنف الرجل ، ولا ترتاح الا اليه كما لا يرتاح هو الا اليها ، والانانية هي التي استاثرت بتملك الجواري ، وكانت الطبيعة عونا للرجل ، لان المراة وهي مستودع الحياة ، فلكي تاتي بحياة ثانية ، لا بد لها من تحمل المشاق والام الوضع فكانت هذه سببا لضعفها ، والركون الى من يقوم باودها ويحميها . على ان الانانية التي سيطرت ولما تزل تسيطر على كل ذي حياة في هذا الوجود ، قد دفعت بالذكر الى ان يرى نفسه سيدا له الرئاسة على الانثى يستاثر بها ويحتفظ بها مسرة لنفسه ولذة يجني منها ما يزرع فاحب الذكور من الانسان ليكونوا له عونا على متاعب الحياة ومشاقها ، واحب من الحيوان الانثى لاستدرار لبنها والافادة من تكثير مواشيه كل هذا بدافع العيش والرفاهية ومحبة الوجود .

ولما كثر التسري في العالم اجمع وكثرت الجواري ، وانتشرت تجارة الرقيق وعمرت اسواق النخاسة ، انحط شان المراة ، فعمدت تسال قواها العقلية ، فاوحت اليها المكر والتحيل حفظا لكيانها واستمتاعا بحياتها ، وكانت تجارة الرقيق نافقة السوق ، عرفها المصريون والرومان واليونان والاشوريون والبابليون والفينيقيون وغيرهم ، واتصل ذلك بغيرهم حتى طغت سوقها في القرون الوسطى واوئل الاخيرة وقد روى صاحب الاغاني ، ان احمد بن صدقة دخل على المامون في عيد الشعانين وبين يديه عشرون وصيفة جلبا وروميات مزنرات قد تزين بالديباج الرومي وعلقن في اعناقهن صلبان ذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون . فقال له المامون ويلك يا احمد قد قلت في هؤلاء ابياتا فغنى فيها ثم انشد :

ظبـاء كالدنانيـر
ملاح فـي المقاصيـر
جلاهن الشعانين علينا في الزنانير
وقد لونن اصداغا كاذناب الزرازير
واقبلن باوساط كاوساط الزنابير

فعناه بها ، فلم يزل المأمون يشرب وترقص الوصائف بين يديه بانواع الرقص .

ولما كثرت الجواري في قصور الخلفاء والوزراء والتجار واصبح عند كل ميسور جملة منهن ، انصرفت كل واحدة منهن تعمل الفكر والاختراع لضروب المكر واستهواء للرجل واستجلابا لحبه . ويؤخذ مما لدينا من شعر ، ان الرجل ما كان ينظر الى المراة الا انها الهية له ومتعة وقد شك في عفتها فانشد :

ان النساء وان مرقن بمنية ... جيف عليهن النسور الحوم
اليوم عندك جيدها وحديثها ... وغدا لغيرك عطفها والمعصم
كالخان تنزله وتصبح راحلا ... عنه وينزل فيه من لا تعلم

وان نحن نظرنا في رسائل اخوان الصفاء ، رايناهم ينظرون الى المراة نظرة احتقار ، فقد حسبوها بلا عقل ، واحصوها مع الجهال والحمقى والخدم ، وزعموا انها لا تقوى على التفكير ولا تقدر ان تنفرد براي وحصروا مهمتها في امرين لا ثالث لهما ، الاول انها اناء للنسل والثاني الخضوع التام لرجلها والقيام بتدبير المنزل . وما ذلك الا لما كان من كثرة الجواري اللواتي كن يسبين ويبعن في سوق النخاسة بعد تعليمهن وتدريبهن على ضروب الاستهواء ، وقد كثرن جدا في العصر العباسي حتى قيل : ان اقل غني كان يضم في منزله مما يزيد عن خمسين جارية .

وان نحن نظرنا في ما خلف لنا ابو العلاء المعري بشأن المراة نراه في لزومياته يميل الى اتهامها في عفتها ايضا ، ولا ريب ان تفكيره كان مستمدا من عصره ، فيرى ان الخير كل الخير لها ، ان تعني بمغزلها وتدبير بيتها فلا تاخذ نفسها بالتبرج والزينة والخروج الى الحمام (1) . ويرى ان بقاءها على الجهل بدون علم صلاح لها ، لان العلم في زعمه وزعم ابناء جيله يدنيها من الرذيلة وخير لها قوله :

ان الاوانس ان تزور قبورها ... خير لها من ان يقال عرائس

وما يوصي به ، تنحيتها عن الحياة العامة قال :

علموهن النسج والغزل والردن ... وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تجزي ... عن يونس وبراءة

ومن ثم فهي عنده افعى تنفث السم وتخدع بلين الملمس قال :

انما الخود في مآربها ... كربة السم في تربها

واخيرا نراه يتهم عفتها ايضا وينكر عليها الوفاء لزوجها فيقول :

تكم بكرت تبغي الاسر حليلها ... من النار او تبقي الخليل وضابها

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ذهب بعضهم الى الشك في اكثر من ذلك ، فلا عجب بعد هذا ان راينا المراة تحتال على الحياة والذنب في ذلك على الرجل الذي حملها في طويل الامد على اختراع الحيل والمكر والخداع . ولا عجب ان رايناها اليوم غزالة نافرة تتخلص من عقالها ، سابحة وراء العلم والمعرفة لتتحرر تحريرا كاملا من تقاليد قيدتها ، وكبلتها وجعلتها كانها غريبة ليست من هذا العالم ، ولنا في كل يوم من اخبارهن ما يكذب ظن القدماء بها .

عيسى ميخائيل سابا

---

(1) كانت الحمامات قديما في اماكن خاصة من المدينة ، ولا تزال كذلك في بعض المدن الشرقية .

دوار

ثريا ملحس

ادور ، ادور
وانسان عيني
يدور
سواد ، بياض
ودنيا غريره
وعمر يباب
يحار
ودرب طويله
امد ذراعا
ادق ، بايد عليله
ورمشي مسامير جفني
تدور ، تدور
احوك رموشي
حبالا ، جديله
اطير ، وحولي فراغي
اسوي جباله
وفوقي فضاء
وتحتي اراض ثقيله
متى اليم يهدا
وامواج ظني تموت
تفت صخوره
انادي ، اطوف
شراعي قديد
مداه قصير
تشق العباب
ضلوع اسيره
حيارى
وتمشي ببطء شريده
ادور ، ادور
وانسان عيني
يدور
ودنيا غريره

المصدورة

بقلم محمد حاج حسين

قصة

وشيعتها الى الباب مودعا . ورفعت الي عينين حزينتين وتمتمت بصوت هجع فيه الاسى : أتوسل اليك ان تعود عائدة في هذا المساء .

ــ سافعل بالتاكيد .

وامسكت بيدي ، وربتتها بلطف ؛ ونجاة رفعتها الى فمها تهم بتقبيلها، فانتزعتها منها بسرعة وهمست : ما هذا يا خالتي ؟

ــ لن انسى معروفك . انك منقذ عائدة .

وتوارت من امامي كشبح حزين . واويت الى غرفتي نهبة لحيرة شديدة امام هذا اللغز الحائر الذي لم استطع اكتناهه . وقدحت زناد فكري لاجد حلا له ، ولكنني خبت في التسلل الى اعماقه . ما معنى الحاح ام عائدة علي لاعود ابنتها في المستشفى؟ ولماذا بكت بحرقة ، وهي تتضرع الي ان اوالي زياراتها لان هذه الزيارات تدفعها قدما الى الشفاء . انها على حد تعبيرها بمثابة حقن الشفاء التي تسرع بها الى الصحة الدافقة . صحيح انها اخت صديقي عزيز ، ولما اباني ، والغصات تلاحقه ان اخته عائدة دخلت مصح السل زرتها ثلاث مرات مشجعا ومواسيا بدافع المجاملة لصديقي . ومن الطبيعي ان تنقطع زياراتي لها . ولكن ما خطب امها حتى تاتي الى بيتنا ، وتتوسل الي بدموعها ، حتى أوالي زياراتي لها؟ وما علاقتي بها ؟ ولماذا تساعدها زياراتي على الشفاء ؟ وتخبطت في بيداء من الظنون .. ولكنني تخلصت من زحمتها بوجوب تحقيق رغبة هذه الام الحزينة . ثم ماذا يضيرني اذا زرتها كل يوم مرة في اوقات فراغي ؟

ورف المساء ، واسرعت بارتداء ثيابي ، وذهبت الى المصحة . وعراني اضطراب ، وانا اخفق باب غرفة المدنفة ، ونهضت امها تستقبلني وقد لمعت الفرحة بين عينيها ، واسرعت الى ابنتها الراقدة في سريرها تزف اليها البشرى بقدومي . ودنوت من العليلة ، ورفعت الي عينيها الشاحبتين ، وطافت على شفتيها بسمة رضية حملت كل الفرح الذي اصطخب في اعماقها ، ومدت الي يدها ، وصافحتها ، وتالق وميض رائع في عينيها ، واحسست بالخوف لاول وهلة من مصافحتها ، ولكنني تذرعت بالصبر وقلت : كيف حالك يا آنسة عائدة ؟

وتهالكت على كرسي خائر القوى ، وانا أحاول ان اتفادى منظر عائدة التي ادنفها الداء ، ووشمتها صفرة مريضة ، ، واذابها النحول حتى غدت هيكلا عظيما . ورن صوتها الواهي في مسمعي وهي تقول : اوحشتنا يا احمد .

وقلت : اعترضتني مشاغل عديدة ابعدتني عنك . وثقي بانني ساعودك مهما كانت اعمالي .

واحسست بها تختلج ، وفاض البشر في محياها ، وتمتمت : اشكرك .

ومكثت عندها قرابة ساعة ، ثم استاذنت في الانصراف ، وقرات على ملامحها الوجوم ، فقد غاض البشر الذي كان يترقرق في وجهها . وقالت : هل ستاتي غدا ؟

ــ بالتاكيد .

ــ شكرا ..

وانطلقت من المصح تتقاذفني لجج من الظنون . ولاول وهلة شعرت بالندامة لارتباطي مع امها اولا ، ومعها ثانيا بتكرار هذه الزيارات المملة .. اليس عندي ما يشغلني عن زيارة فتاة مصدورة ؟ وماذا لو تسربت الي العدوى منها . وعراني هلع لهذه الخاطرة ، وشعرت بقشعريرة في بدني ، غير انني سيطرت على اعصابي المتوترة ، واستسلمت للقدر ، لانه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

وتكررت عيادتي لها ، واصبحت في انتظام ، وفي كل مرة اغادر المصح اعتزم بيني وبين نفسي الا اعود اليه ثانية .. ولكن طيبتي كانت تتغلب علي ، ففي الموعد المضروب اهرع اليها متعللا بانني لن اخسر شيئا . فلماذا الجبن ؟ وما معنى تكوصي عن خدمة انسانية ؟ والحق ان صديقي عزيزا قدر لي هذه الزيارات ، وربا حبه لي، وتفنن في ابداء اخلاصه لي ... وانا اعترف صراحة ان عزيزا اقرب اصدقائي الى نفسي .. ومع هذا كنت دائما أحاول ان استشف هذا السر الذي يجعلها تلح في وجوب عيادتي لها .. لانني اذا اضطرني عمل الى الغيبة عنها يوما واحدا جاءت امها الى بيتنا في اليوم التالي تتوسل الي بدموعها ان اعود اليها .

ووضح لي السر ذات يوم ، فقد خرجت متاخرا من حجرتها ، وكدت اغادر المصح عندما التقيت بالمرضة التي تعنى بها . وارتسمت على ثغرها ابتسامة حافلة بالمعنى وهي تحييني. واندفعت في تحيتها ، وتبسطت معها في الحديث ، فسالتني اذا كان وقتي يتسع لاحتساء فنجان قهوة في غرفتها ، ووافقت . ولما اخذت في رشف القهوة متلذذا بمذاقها العذب رنت الي طويلا وقالت : ان زياراتك لعائدة هي الدواء الشافي لها .

وهززت براسي ، ولم احر جوابا. ولبثت المرضة هنيهات تتاملني ، ثم قالت :

هل تحبها ؟

واجبت : احبها كعليلة بائسة .

ــ لا اقصد هذا .

ــ وماذا تقصدين اذن ؟

ــ اعني الحب الذي يدفع الى الزواج .

ـ لا ، ليس عندي شيء من هذا.
وادارت عينيها بذهول وتمتمت : كيف ؟

ـ وماذا تريدين ؟ .. أاقول لك انني احبها ، وانا لا احبها ..

ـ ولكن لماذا تعودها باستمرار ؟

ـ لانهم اخبروني ان هذا يساعدها على الشفاء .

ـ ومن قال لك هذا ؟

ـ امها .

ـ اذن انت تعودها شفقة عليها .

ـ نعم .

ـ ولكن اذا عرفت هذا سيقضى عليها فورا .

ودب في وهل وقلت : ولكن لماذا ؟

ـ لانها تحبك .

ـ تحبني ؟

ـ بل تعبدك . انك املها الوحيد في الحياة ، ولولاك لما استطاعت ان تغالب الداء . انها تستمد من حبك قوة هائلة تكتسح بها السل وتصارعه. واعتقد انها ستنتصر عليه ما دام هذا الدفء يسري في بدنها .

ـ ولكن من قال لك هذا ؟

ـ هي التي افضت الي به .

ـ اعتقد انك واهمة .

ـ انها الحقيقة . تكثيرا ما اخلو بها ، وتفتح لي قلبها . وقالت لي لولا املها في الزواج بك لما تشبثت بالحياة .

وقمت من لدنها وانا في شجن بليغ . ما هذه الورطة التي اتخبط فيها ؟ وكيف النجاة منها ؟ ولماذا عقدت علي املها ؟ ان قلبي لا ينبض بذرة حب لها .. لقد فسرت عطفي عليها بمثابة حب لها . انني الجاني عليها .. ويجب ان اقطع صلتي بها حتى لا تسرف في تشييد قصرها الباذخ على رمال منهارة .

واسرعت الى بيت خالتي .. حيث حبي الذي يرفرف بين جوانحي ، واستقبلتني ابنة خالتي امل بذراعين مفتوحين ، وشاعت بي الفرحة ، وانا اضمها الى صدري ، انها حياتي ، واملي في هذه الدنيا . وعما قريب ستعلن خطوبتي لها ، ويضمنا مثوى واحد ، انعم به بهذه الفتنة الطاغية التي تتهادى امامي برقتها ونداوتها . وهبت انفاسها الشذية تغمرني بالبهجة ، وفجأة استيقظت على واقعي المرير عندما سالتني امل : كيف حال عائدة ؟

ونزا بي الغضب ودمدمت : دعينا منها .

ـ لماذا يا احمد ؟

ـ ارجوك .. لا تذكريها امامي ثانية .

ـ اتخليت عن رسالتك الانسانية معها ؟

ـ نعم تخليت .

ـ ولكن .. ما السبب ؟

ـ لن اذهب اليها ثانية .. وكفى هذا .

ـ انت مخطىء ، فماذا يضيرك اذا عدتها كل يوم نصف ساعة ما دام في هذا فائدة لها .

ـ لا تكلميني عنها بعد اليوم .

ـ لا تخف من العدوى لان بنيتك قوية .

ـ لا اخشى العدوى ، وان كنت اخشى شيئا اخر .

ـ مهما كانت الاسباب يجب الا تنقطع عنها .

ـ كيف ازور مجنونة ؟

ـ لاول مرة اسمع هذا .

ـ تصوري ، انها تحبني .

ـ وماذا في هذا ؟ الست بشرا. كل من رآك احبك .

ـ انك ولا شك تمزحين .

ـ ولماذا امزح ؟

ـ الا تغارين ؟

ـ وهل اغار من فتاة بائسة .. ثم انني واثقة من حبك لي .

ـ امل .. انها تريد ان تتزوجني

ـ لا .. هذا كثير .

ـ لقد اخبرتني ممرضتها بعاطفتها نحوي . انها تكافح داءها لتتزوجني. وسكت قليلا ثم استطرد قائلا : ولهذا قررت الا اعودها مرة اخرى .

ـ انك مخطىء يا احمد .

ـ انت تقولين هذا يا امل .

ـ انني احب فيك رجولتك ، فلا تدعني اشك فيها . ان واجبك ازجاء المساعدة لها ما دامت في قدرتك .

ـ اخشى ان تزداد عاطفتها نحوي .

ـ ليس في هذا اي ضرر لك ما دمت لا تحبها .

ـ والنتيجة ؟

ـ لو تركتها لتفاقمت عليها العلة ، وربما ماتت يأسا ، وعندها تكون قاتلا .

ـ وما ذنبي انا في موتها ؟

ـ اسمع يا احمد . انا لا استطيع ان اتزوج قاتلا .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ يستحيل ان اتزوجك اذا علمت انها ماتت بسبب انقطاعك عن عيادتها .

ـ وحبنا يا امل ؟

ـ ان حبنا اشد رسوخا من الجبال ، ولن تزعزعه كل الاعاصير والزوابع في الدنيا . وماذا يضيرنا لو اسديت خدمة انسانية لهذه البائسة التي تتعلل بوهم يسعدها ويعمل على برئها .

ـ واذا شفيت من مرضها .. فماذا يكون موقفي منها ؟

ـ تصارحها بالحقيقة . لا شك انها ستتألم .. ولكنها تستطيع ان تسيطر على المها ما دامت ترتع في صحة جيدة . اما الان فهبة من نسيم تطوح بها .

ـ ما نبلك يا امل ..

ـ ابدا .. كل ما في الامر ان واجبا مقدسا القته العناية الالهية عليك ، فيجب ان تقوم به .

ـ رايك اذن .. يجب ان اتابع تمثيلي معها .

ـ هذا رايي .

ـ ولكنني لا استطيع ان اتخذ قناعا زائفا بعد ان عرفت عاطفتها نحوي .

ـ المهم ان تساعدها على الشفاء. مثل يا اخي . اسكب في اذنيها

كلمات الحب . شجعها . اطلب اليها ان تبرا من دائها . انك تستطيع ان توحي لها بكل هذا ، والنتيجة انك تنقذ نفسا من الموت . ان الله سيكافئك على هذا العمل الانساني الجيد .

ــ امل . انك تكلفينني فوق طاقتي .

ــ انني افتح امامك باب الرحمة وانت توصده .

وهام علينا صمت مروع ، وحلقت روحانا في آفاق مختلفة ، وانجابت من عيني تلك الغشاوة الصفيقة التي احكمتها الانانية ، واتضح لي انها على حق في هذا العمل الانساني الرائع وقلت : سافعل يا امل ...

وطوقتني بذراعيها ، ومنحتني شفتيها المكتنزتين ؛ فشربت منهما رحيق الحياة ، وتمتمت : لاجلك .. انا مستعد ان اضحي بحياتي .

وهتفت : بقي شيء واحد يجب ان تفعله الان .

ــ ما هو ؟

ــ يجب ان تهتف لمرضتها وترجوها الا تنقل كلامك لعائدة حتى لا يحدث لها رد فعل يؤثر في صحتها .

تناولت الهاتف ، وبعد قليل ترامى الي صوت الممرضة ، ورجوتها الا تحدث عائدة بما اخبرتها به . واجابتني انه من الطبيعي الا تفعل ، لان هذا يعمل على تدهور صحتها .

واغمضت امل عينيها ، وسبحت في نشوة قريرة ، وتجلت لي كهالة من نور هبطت من السماء لتنشر الحب والدفء في هذه الارض المعذبة . وتمتمت : امل انت ملاك .

ورنت الي طويلا واجابت : تاكد ان عائدة ستكون سعيدة في زواجنا ، بعد ان تبرا وتعلم كل شيء .

وفي موعد عيادتي لها اسرعت الى المصح يرفرف علي رجاء عريض في انقاذها من دائها الوبيل .

القاهرة		محمد حاج حسين

غـــــروب

سرت يوما والغروب
عند شط النيل وهنا
لم يكن ثم لغوب
غير لحن الماء لحنا

كان رقراقا كدمع العين صاف
ويرفق يلطم الشاطىء لطمات خفاف
في خرير شاحب الجرس خفي الهمسات
يتوالى كوجيب القلب محزون الشكاة
نثرت في القلب اصداء لهاتيك الدموع
وتراءى في عيوني قبس من عبراتي

كان في الانسام تحنان وتسليم ورقه
وعلى المغرب في الافق من الالوان حرقه
وشراع فوق صدر الماء قد هزته خفقه
خفقة بالحب ... فانداح الى الشط البعيد
ينثني في عالم الاشواق تحنانا ورفقه

وعلى البعد بشط الافق اشباح نخيل
توجتها قمم خضراء من نبع الحقول
وبيوت غارقات في السكون الناعم
غمست اقدامها .. في عطر موج ناغم

وهناك
وسط حضن الماء اشباح جزائر
لفها موج ضباب ، مبهم الالوان حائر
ناعم كالحلم سحري الخطى
غامض كالوهم عطري الستائر
فتمنيت لو اني غبت في الوهم العطر
خلف استار الضباب الساحر

القاهرة		ملك عبد العزيز

النوازع الخيرة في الشعر المهجري

بقلم خضر عباس الصالحي

لقد لعب الشعر المهجري دوره الفعال في تطوير الشعر العربي بصورة عامة ان في المحتوى وان في الشكل ، واكسبه غنى وثروة لا حد لهما ، لانه زخر بصورة فنية حية هادفة يرتسم عليها ظل الانسان ، وهو اكثر استيعابا لروح العصر ، واعمق واقعية وعفوية مما عهدناه في الشعر العربي الذي طغت عليه المناسبات فكبلته بأصفاد الجمود والاجترار ، والذي كان يفتقر الى حرارة العاطفة ، والصور الشعرية البارعة ، والتنويع النغمي .

والشعر المهجري مدرسة قائمة بذاتها تجمع في خطوطها مزايا الشعر العربي الحديث ، الشعر المتفاعل بصدق ، الهادف بوعي ، الفني بالانفعال النفسي ، الحافل بالترابط العاطفي ذي النقاوة والاصالة والجماعة ، والذي اعتمد التجارب الشعورية الزاخرة بالحياة ، فيه العمق والشمول والاحاطة والدقة ، مع قوة التراكيب ، وجودة السبك ، واثارة الحوافز الذهنية والشحنات العاطفية ذات النزعة الانسانية الاصيلة ، والتاثر بحياة الناس والتاثير فيها ، ولذا فانه بمحتواه الفكري واهميته الفنية ، ولما فيه من عناصر الحياة النابضة بالحيوية والتجدد والتطور ، وتعبيره بالصور لابراز المضمون الفني المتكامل ليعتبر بحق تراثا انسانيا خالدا . !

وليس قولي هذا اعتباطا ولا تلقائيا ، فان لشعراء المهجر انجازات ادبية رائعة ومنقطعة النظير ، يستحق اصحابها الاكبار والتقدير ، لتعبيرهم عن المعاني العميقة لآمال واماني الانسانية ، فقد رفعوا منذ البداية شعار الحرية ، وكافحوا الظلم والطغيان والارهاب ، ووضعوا وجداناتهم الثائرة ، وشاعريتهم الفياضة في خدمة قوى الخير ، وجعلوا من اشعارهم كائنا حيا زاخرا بالعطاء ، فهم عمالقة في تجاربهم الشعورية الجماعية ، وازاحة الستار عن جوانب عديدة من الحياة ونقل صورها الحقيقية الناطقة دون تزويق وغش وزيف !

وقد حظي الشعر المهجري باهتمام بالغ من قبل النقاد لتحديد جوهر التطور الذي آل اليه شعرنا المعاصر في المهجر ، ولكن اضطراب مقاييس النقد ازاء قضايا الشعر الحديث ومفاهيمه ، وعدم الاستناد الى قيم جديدة في النقد تلائم التطور الجديد ادت الى التمادي في ارتجال الاحكام الخاطئة على النماذج الشعرية في المهجر لتشويه مضامينها ، واطلاق المفتريات الباطلة الحاقدة عليها ، ولكن هذه المفتريات المختلفة اساءت الى مطلقيها ، اذ لم يكن نقدهم نقدا سديدا موضوعيا ، بل كان مجانبا لاصول النقد ومستلزماته ، ومخالفا لوجه الحقيقة ! ان النقد الهادف البناء يبرز للقاريء الابداع الفني الذي هو من مميزات شعرنا المعاصر في المهجر ، ويدفع للبناء والابتكار ، لا الى الهدم والانتقاص من قدر الاخرين ، سيما بعد ان جدت على الشعر العربي فنون لم تكن فيه من قبل .

والواقع ان ادق مرحلة يمر بها شعرنا العربي المعاصر هي مرحلتنا الراهنة هذه ، ففي هذه المرحلة بالذات تبنى الاسس القوية الراسخة لشعرنا الجديد ، حيث يقام البناء الشامخ الذي يرتكز عليه ، والذي تسعى الى توطيد اركانه، ليظل على الصعيد الانساني يؤدي واجباته الفكرية ببراعة ومهارة !

وشعراء المهجر بذروا بذرة خيرة صالحة ابدت قدرتها الخارقة على النمو والنضوج اكثر فاكثر ، وتميزت بالاستيعاب التام للواقع الذي يعبر عنه الشعر المهجري ذو اللمحات المشرقة المبشرة بالامل والخير ، مع البساطة في المعالجة ، والبراعة في التركيز ، والاعجاز في الايجاز !

وكان لسوط البطش والاضطهاد المسلط على رؤوس المفكرين الاحرار في عهود الارهاب ، وانتشار البطالة وغلق ابواب الكسب الحلال في وجه العاملين في حقل الادب والفكر في سوريا ولبنان من اهم الاسباب التي دفعت بعض الشعراء من ذوي النفوس الابية ، والافكار المتحررة على مغادرة البلاد والهجرة الى اميركا الشمالية والجنوبية اذ تجشموا المخاطر بعد ان ضاق بهم العيش وقد اصبحت سجاياهم العالية التي جبلوا عليها في خطر ، وهذا دليل شعورهم العميق بان الحرية الفكرية اسمى وانبل ما يجب ان يتعلق بها الانسان مدى حياته !

وما ان وطأت اقدامهم ارض اميركا حتى انطلقت اوسع الطاقات الفكرية التي تخدم البشرية ، واخذ هؤلاء الذين اختاروا الحياة في دنيا الصراع الواقعي ، يهدفون في شعرهم ذي المحتوى الانساني الرفيع الى تخليص شعوبهم من عوامل العبودية والاسترقاق ، والى استيعاب المثل العليا التي كافحت من اجلها الامم ، باسلوب ساحر ، واداء منمق ، فيه معنى خالد وفكرة عميقة ، مع وحدة الموضوع ، وجمال الموسيقى ، وسلامة الصياغة التي ترقى الى درجة الجودة والابداع . . . !

وان شعرهم الرائع المائع لم يلبث ان تلقفته شفاه كل المثقفين ، لاحتوائه على الطاقات التاملية ، والنزعة الفكرية ، وللتطور الخارق الذي احرزه بسببه الشعر العربي ، والذي كان له دوره العظيم في وضعه بهذه القوالب والاطر الفنية الجديدة !

ولما كان الادب تعبيرا فنيا عن الحياة التي يحياها الناس، فقد اندفع الشاعر المهجري يعبر عن الام البائسين وهو يصدق في احساسه صدقا عميقا ، وانطلقت اشعاعات جديدة في تفكيره تدعو الى خدمة الانسانية واسعادها ، وهذا هو الشاعر القروي يقول في فقير متسول لا يملك شروى نقير :

جاء الفقير الى ذات منية   يشكو الزمان كسائر الفقراء
قال المروءة ، لي ثلاثة اكبد   ناموا على قدر الحصى والماء
فنفحته شيئا فسالت جمرة   من عينه وقفت على احشائي
ومضى ، فيكتبني ضميري قائلا   الثلث بئس مواطف الشعراء
وذهلت عن نفري وطرت وراءه   خجلا احاول ان ازيد عطائي

وينبغي للشعر ان يكون تعبيرا صادقا عن احاسيس الشاعر ، ولذا فان ايليا ابو ماضي الشاعر الذي عبر عن الحياة في مختلف صورها ومعانيها ، والذي وصلت اشعاره الى القمة من ناحية الابداع الفني ، وزخرت بالابتكار والتجديد ، وفتحت بتفكيرها آفاقا جديدة في عالم الشعر، يصور لنا مشاعره الرهيفة في قصيدته (اليتيم) التي تنطوي على حرارة ولوعة ، ويهيب بنا الى مديد العون لليتامى ، اذ لعل في البعض منهم تكمن بذرة العبقرية ، وستنمو وتتفتح عن وردة يانعة تغمر جنبات الحياة بالعبير والشذا اذا ما شملت بالعناية اللازمة ، وان البؤس هو الطامة الكبرى التي تعمل على اطفاء شعلة العبقرية ، وقتل الموهبة والفتك بها فتكا ذريعا فيقول :

اليتيم الذي يلوح زريا   ليس شيئا لو تعلمون زريا
انه فرصة ستطلع يوما   ثمرا طيبا ، وزهرا جنيا
ربما كان اودع الله فيه   فيلسوفا او شاعرا او نبيا
لم يكن كل عبقري يتيما   انما كان كاليتيم صبيا
كل نجم يكون من قبل ان يبدو   سديما عن العيون خفيا
ان يك الموت قد مضى بابيه   ما مضى بالشعور فيك وفيا
رب ذهن مثل النهار منير   صار بالبؤس كالظلام دجيا
حاربوا البؤس في الصغار مبكرا   قبل ان يتبدد فيهم ثريا

وانبرى الشاعر حسني غراب مخاطبا احد البخلاء بعد ان وجه اليه العذل واللوم لاسعافه بائسا ببعض النقود ، وقد كشف في قصيدته هذه عاطفته الرقيقة التي لم تكن غير منبع يفيض بالحب صافيا رائقا فيقول :

يقول لي البخيل وقد رآني   اجود ببعض ما ملكت يدايا
الم تحسب ليوم غد حسابا   ويوم غد محوط بالرزايا
لقلت صدقتنا واسترحت سمعا   لو انك ناصح بشرا سوايا
النهاني عن المعروف خوفا   على مال بدده العطايا
وحولي من ضحايا البؤس ناس   تذوب لفرط شقوتهم حشايا
اكنت تلوم في عذلي ولومي   لو انك بعض هاتيك الضحايا

ويتمنى الشاعر رشيد ايوب ان يكون لديه بعض الحطام ليجود به على البائسين الجياع ويعطيهم من صميم قلبه بغير منة ، لان المال زائل كصاحبه ، واما الجواد الذي ينفق بسخاء فذكره العاطر يتحدى الزمن ويبقى كأمثولة رائعة خالدة جيلا بعد جيل ، كل هذه المعاني النقية الصافية يسوقها مشحونة بعباراته الثرية الفنية سابغا عليها مزيدا من الجمال الشعري فيقول :

الا ليت لي ما قد دعاه بنو الورى   حطاما فاعطي البائسين وانفح
سموح هو المرء المفرق ماله   ولكن من يعطي من القلب اسمح
اذا ملحت بالمال نفسي فانها   باعطائها مما لديها لاصلح
فما المال الا بعد موتك بارح   وما الجود الا منع ما ليس يبرح

ويجلس فقير اعمى على قارعة الطريق باسطا احدى يديه ، مستدرا عطف الجماهير ، ويراه الشاعر رشيد ايوب فتسرع دقات قلبه في حنو ورحمة ، داعيا الله ان يسكب النور في عينيه ، ليستمتع بمباهج الحياة ، ويكون عضوا نافعا في المجتمع ، تماما كبقية الرجال العاملين باخلاص في حقل الخدمة العامة فيقول :

واذا عيني رات اعمى فقير   في طريق باسطا احدى يديه
دق قلبي دقة العطف الكثير   للضرير فاتت الدنيا لديه
ثم نادى الله كالطفل الصغير   شع الهي نظرا في مقلتيه
ان قلبا ملؤه الحب الصحيح   دق حتى رق من فرط الشعور
هو حي ولئن زار الضريح   دق يا قلبي الى يوم النشور

وللشاعر مسعود سماحة قصيدة في الفقير ، غنية بكثير من المعاني والتعابير والمشاعر والاحاسيس ، وفيها لمحات واضواء واقباس ، وفيها يثور الفقير في وجه الاغنياء الذين يشيحون عنه وجوههم كأنه وحده من تراب وهم من نار ، وليس له في صدره فؤاد يخفق كأفئدتهم ، ودم يجري في عروقه كدمائهم ، وشعور يهتز بعنف للنزاء والضراء كشعورهم فيقول :

ليتني لم اكن فان حياتي   ومماتي لدي مثل الهباء
ان ايامي الطويلة داء   للفقير مثلي بدون دواء
كلما شاب مفرقي شب حزني   في فؤادي وشب فيه عنائي
ليس لي في الصيف لي مقر ولالي   ما يقيني قر الشتا في الشتاء
لست انسى يوما تعمدت قوما   من كبار الثريين والاغنياء
طردوني فقلت يا قوم اني   مثلكم ... انما من الضعفاء
غير ان الظروف قيد حرمتني   من نصيبي من الهنا والثراء
انتم تهربون مني كأني   مبتلي بينكم باقبح داء
انني مثلكم على الرغم منكم   من لحوم مركب ودماء
بين جنبي لي فؤاد خفوق   كالذي هو مهبط هواء
ذو شعور يهتز مع كل قلب   ذو ولاء يسري بكل ولاء

والشاعر محبوب الشرتوني لا يعتبر الذليل هو الفقير المعدم ، بل الجاهل الذي لا يسعى الى تحصيل المعرفة الصحيحة ، وصقل الذهن بالثقافة الحقة ، وليس الفقير من قل ماله ، وفقد جاهه ، وتقلص ظل نفوذه ، وانما الذي يعيش تحت اطباق الظلام والضلال والعمى فيقول :

ليس الذليل هو الفقير بماله   ان الفقير بعقله للذليل
الشوك محتقر وفيه غضارة   والورد محترم وفيه ذبول

وفي قصيدة (الصدور) للشاعر رياض معلوف مجموعة من المشاعر المنسابة البعيدة الغور ، النشيطة الخلجة ، اذ تتجلى فيها العاطفة الانسانية المتدفقة وابراز قيمتها ، وقد احالها الى غناء عذب رائع ، وبرع كل البراعة في تصوير الصدور تصويرا انسانيا دقيقا معبرا ومؤثرا فيقول :

هو يمشي والموت في خطراته   عاثر الحظ بانتظار مماته
شاحبا باكيا حزينا كئيبا   واحتضار السرور في بسماته
ويريد الظلام والداء يابى   ناثرا صدره على كلماته
كل يوم يموت فيه قليل   من بقايا ابانه لوفاته
رئة كالفقير والنحل فيها   مرض ناعش بقايا حياته
وفؤاد واه يدق سريعا   وتمشي النعاة في دقاته

وادرك شعراء المهجر بوعي عميق وهم في اميركا وطنهم الجديد ، عظم اهمية الطبقة العمالية هؤلاء الذين يكدحون بحماس واستبسال ، ولكنهم لم ينالوا حقوقهم المشروعة في ظل الحياة الحرة الكريمة ، بل بقي الكثير منهم يتخبط خبط عشواء في ظلمات البؤس والحرمان ، وقال الشاعر زكي قنصل في البناء :

يبني القصور وكوخه خرب … سادت خيناة كلها تعب
الشوك يزخر في مسالكها … والريح ما تنفك تضطرب
لا يزدهي في ليله قبس … الا تولت طمسه السحب
لكأنه في الناس حائبة … وكأنه في الاهل مغترب
دامي الفؤاد بنفسه السم … ذاوي الجفون بنفسه سغب
بظلام مشاق الريال يد … وبيد تراكم حولها اللعب
وسلام بشعب حق مجتهد … ليفوز بالملذات متعب
يا قالعا بالطين لا تعب … يرعى عزيمته ولا وصب
ما انت اول كادح عثرت … آماله وكبا به الدأب

والشاعر المدني قيصر سليم خوري يستأثر باهتمامه بؤس الفلاح وشقائه فيجيد وصف حياته القاسية المريرة وضنك معيشته ، بالرغم مما تطفح به يداه على المجتمع من خير وسعادة وهو يعمل في الارض الطيبة تحت شواظ الشمس المحرقة ، وفي قر الشتاء البارد ، والزمهرير القارس ، وهذه القصيدة تتسم بالواقعية ، والبساطة في التعبير مع عمق الصورة التي يرسمها الشاعر فيقول :

يبنيك تلك يا فلاح تكسبه … في حلبة الجد لا في حماة الكذب
الشمس فوقك كالاتون مسعرة … في لذعها لك انهاض الى الدأب
تطالع الوقت فيها وهي سافرة … كأنها ساعة صيغت من الذهب
يكاد زرعك مما بت تنزله … من ماء جهدك يستغني عن السحب
لله كفك والمحراث كم لهما … دين على الناس لن يوفى مدى الحقب
لم يمرحوا شبعا او يشبعوا مرحا … لولا الذي بك من فقر ومن نصب
يا قاتل الجوع كم اشبعت من حكم … ستقد فيك حكم الجوع والتعب
لو خاف ربك من عقوا لكنت لهم … للعين كالجفن او للجفن كالهدب

ولشفيق معلوف قصيدة في البستاني وهو يعمل في حقله على رفع الافراس فوق الارض ودفن اقلام الاشجار في التربة لتولد من جديد ، والشاعر يصوغ كل هذه الافكار في قالب أخاذ من العواطف الحارة المفعمة بالابداع ، مع المشاركة الوجدانية للبستاني في المشاعر والاحاسيس فيقول :

مررت به يكب على غراس … لوين العنق للعصف الشديد
فرنمهن فوق الارض كيما … ينجيهن من ذل الجمود
بمرت به يثقل راحتيه … على الافراس من عود لعود
فينزع سلخة من كل غصن … ويدفنها لتولد من جديد
يداه على التراب ومقلتاه … معلقتان بالافق البعيد

والشاعر ميخائيل نعيمه استفاد من احداث الحياة التي عاصرها وهو بالاضافة الى شاعريته الملهمة كاتب بارع تنعكس في ادبه الام المجتمع ، ذلك الادب النابع من صميم حياته ، والذي يرسم فيه ظل الانسانية ، ويسكبه في اطار فني رائع وبضمنه النظر في اسرار الوجود والتأمل فيها !

وشعره غني بنغمة عذبة تدخل الى القلب دون استئذان مع الحفاظ على روعة الانسياق بين النغمة والموضوع ، وتتم عملية مخاض شعره بعد جهد ذاتي مستمر مع نموه في داخله نموا تلقائيا هادئا واعيا ، وتتضح هذه الملامح المتميزة بكل عمقها واصالتها في هذه القصيدة الرائعة التي هي تعبير عن انفعال الشاعر واهتزازه ، وهي تطفح بطاقات شعورية ، وتثير في القارىء شتى المشاعر والخلجات ، وشعره وليد القلق الخلاق الباعث على التأمل والتفكير فيقول :

اخي ان ضج بعد الحرب غربي باعماله
وقدس ذكرى من ماتوا وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

اخي ! ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا



اخي ! ان عاد يحرث ارضه الفلاح او يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
لقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في اراضينا
سوى اجياف موتانا

اخي ! قد تم ما لو لم نشاه نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو اردنا نحن ما عما
فلا تندب فأذن الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

اخي ! من نحن ؟ لا وطن ولا اهل ولا جار
اذا نمنا ، اذا قمنا رداانا الخزي والعار
لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نواري فيه احيانا

وايليا ابو ماضي وعى اعمق الوعي محنة الزنوج وصراعهم الحياتي ، والكارثة التي المت بهم ، وهو الشاعر الذي يستقطب العواطف الجماعية ، ويكيفها في نفسه فتنعكس على شعره بصورة فنية رائعة تصل بروعتها الى حد الاثارة والاعجاب ، مع بلاغة العبارة ، وجمال الصور ، وحرارة الاسلوب وفي قصيدته (عبد) يقول :

فوق الجميزة سنجاب   والارنب تمرح في الحقل
وانا صياد وثاب   لكن الصيد على مثلي
محظور اذ اني عبد
والديك الابيض في القن   يختال كيوسف في الحسن
وانا اشتى لو اني   اصطاد الديك ولكني
لا اقدر اذ اني عبد
وفتاتي في تلك الدار   سوداء الطلعة كالقار
سيجيء ويأخذها جاري   يا ويحي من هذا العار
افلا يكفي اني عبد

وشعراء المهجر تشبعت احاسيسهم بحب الخير وهم يعيشون في رحاب الانسانية ، وفي قلب زوبعة الحياة ، فطفحت نفوسهم المنزهة عن الهوى بالاخوة والمحبة والتسامح ، وقصيدة (يا اخي) للشاعر نسيب عريضة تستهوي القلب ، وتأخذ باللب ، وتتصل باعمق اعماق النفس البشرية ، لما تزخر به من موحيات ومعطيات اجتماعية وانسانية قيمة مكينة في مخيلة الشاعر ، وهي دليل على رحابة التجربة ، على عمقها وصدق اختلاجاتها فيقول :

يا اخي يا اخي المصاحب شتى   بعد مرادنا والموارد
وامام العيون درب عسير   لم تر قبلنا عليه الاوابد
مظلم موحش كثير الافاعي   والمعالي المتوعرات الطرائد
غير ان السير لا بد منه   ان اردنا ادراك بعض المواعد
فلنسر في الظلام في القفر في الوحـ   ـشة في الويل في طريق المجاهد
فلنسر امرلين الا من الحق   سلاحا والفكر حاد وقائد
واذا اشتدت اللئاب عواء   فلنقابل عواءها بالنشائد
واذا احلولك الظلام انانا   شعل القلب مثل نار المواقد
يا اخي يا رفيق عزمي وضعفي   سر تكابد ان الشجاع المكابد
فاذا ما عييت تسند ضعفي   وانا بعد ذا لضعفك سائد
سر أ تقدم ، لكي نخط طريقا   لاباة الهوان عند الشدائد
يا اخي يا اخي المصاحب شتى   غير انا في سيرنا غير واحد
فلنسر فلنسر واما هلكنا   قبل ادراكنا المنى والمواعد
فكفانا انا ابتدأنا وانا   ان عجزنا فقد بدانا نشاهد

وللصداقة عند شعراء المهجر مفاهيم وقيم رفيعة ، فهم ازاء اصدقائهم ينكرون ذواتهم ، وتتمثل فيهم التضحية والايثار اسمى تمثيل ، وهم يتغاضون عن الاساءة اليهم ، ويتغادون الاخطاء التي ترتكب بحقهم من قبل اصحابهم ، ويقابلونها بكل رحابة صدر ، وسكينة نفس ، دون ان توغر صدورهم البغضاء ، وتمتلىء قلوبهم بالشحناء فهذا الشاعر ندره حداد يقول :

انا راض بمصابا   ايها الحامل رمحك
وسارفى خبزك الا   ود في الحب وملحك
وساقي جرح قلبي   كلما ناهدت جرحك
واري ليلك ليلي   واري صبحي صبحك
واذا اخطأت نحوي   فانا الطالب صفحك

ونفس المعاني السامية يتناولها الشاعر ايليا ابو ماضي قائلا :

حر وملعب كل حر ملعبي   ما كنت بالغاوي ولا المتعصب
اني لاغضب للكريم ينوشه   من دونه والوم من لم يغضب
واحب كل مهذب ولو انه   خصمي وارحم كل غير مهذب
يأبى فؤادي ان يميل الى الاذى   حب الاذية من طباع العقرب
لي ان ارد مساءة بمساءة   لو انني ارضى ببرق خلب



خب ألمي ، شعوره ومقاله ... ق سره يا ليتني لم أذنب
اني اذا نزل البلاء بصاحبي ... دافعت عنه بناجذي ويمخلبي
وشددت ساعده الضعيف بساعدي ... واذا اساء الي لم اتعتب

وقال الشاعر شفيق معلوف :

ما ضر ان يحظى اخوك بحقه ... اترى فلاحك ناجزا بفلاحه
اقلست من ام يضم شتيتهم ... تدر همر مسرور على الراحه
شرب الشعوب توبها بضمينها ... كالطير تذبحه بريش جناحه

وهم يدعون بصدق وحرارة حتى الى حب الاعداء الالداء فيقول الشاعر ميخائيل نعيمة :

قدمت حبي لبغضيا ... فداء ما قد جنوا عليا
فكان حظي من مبغضيا ... ان عاد حبي يقضا اليا

وقال الشاعر القروي :

ابغضت اعدائي فلم ... احب ببغضي غير قلبي
وحبيتهم فارحته ... وربحتهم وسررت ربي
حبي لنفسي عائد ... لا تغفل لي ابدا بحبي

وايليا ابو ماضي الشاعر المشرق اللفظ ، الرقيق الاسلوب ، الناصع الديباجة ، ذو الروح التفاؤلية ، هو من اشد شعراء المهجر اندفاعا الى بث فكرة الحب بين الناس ، واشعاره تسبح في الآفاق الانسانية الطليقة ، ومجهوداته الخلاقة في هذا المجال اعظم من ان تذكر . وهي تتدفق بالحيوية والعطاء والواقعية فيقول :

ان نفسا لم يشرق الحب فيها ... هي نفس لم تدر ما معناها
انا بالحب قد وصلت الى نفسي ... وبالحب قد عرفت الله

وقال :

احببت ليغدو الكوخ كوخا نيرا ... وابغض فيبقى الكون سجنا مظلما
ما الكاس لولا الخمر غير زجاجة ... والمرء لولا الحب الا اعظما
كره الدجى فاسود الا شهبه ... بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء اصبح رملها ... زهرا وصار سرابها الخداع ما

وبرز اسم ايليا ابي ماضي بين شعراء المهجر كشاعر ملهم ، وفي طليعة الداعين الى حب الحياة ونبذ التشاؤم ، والتعلق باهداب التفاؤل ، والصمود بوجه عواصف المشاكل والمعضلات ، وعدم الاستسلام للقنوط والضجر والسأمة فيقول :

ايها الباكي رويدا ... لا يرد الدمع غيره
ايها العابس لن تعـ ... طى على التقطيب اجره
لا تكن مرا ولا تجـ ... عل حياة الغير مره
فتهلل وترنم ... فالفتى العابس صخره

ولم تفتهم الدعوة الى الاندماج بروح الطموح ، والعمل لكسب الرزق بكد اليمين ، وتجنب الركون الى البطالة والخمول فقال الشاعر الياس فرحات :

صلى المجهول على الباري ليرزقه ... نوما ونام مقاس العمر جوعانا
ولو سعى لي سبيل القوت مجتهدا ... لكان من امره غير الذي كانا
ليس الرزق للاسلاد رازقة ... كبشا وقد يرزق التجوال تطمانا
والحظ يخدم بعض الناس من عمه ... حينا ويخذل بعض الناس احيانا

وقال الشاعر ندره حداد :

ما الفخر في النسب القديم ... ولو بهارون الرشيد
ما الفخر في فرط الغنى ... والسعي في جمع النقود
ما الفخر في سهر الليا ... لي بين قانون وعود
ما الفخر انا مؤمنو ... ن وغيرنا اهل الجحود
الفخر كل الفخر في ... التهذيب والعلم المفيد

ويصب الشاعر الياس فرحات جام غضبه على المتكبرين ، ويسلقهم بشواظ من كلامه اللاهب العنيف . . فهم لا عمل لهم سوى رفع انوفهم على ابناء جلدتهم الى اعلى عليين تكبرا وتجبرا ، مع امعان في الغرور والحماقة والشطط كأنهم عباقرة توصلوا الى كشف احاجي الكون ، وانهم اذا ما ماتوا سيغدون تحت الارض ذهبا براقا ، وغيرهم ترابا حقيرا ، وهم يعيشون عالة على المجتمع ولم يقوموا بأي خدمة نافعة لمواطنيهم ، فالقمهم الياس فرحات حجرا بقوله :

سل المتكبرين هل استشيروا ... بمولدهم وهل انشوا الحماما
وهل كشفوا من الاكوان سرا ... وهل عرفوا البداوة والختاما
وهل جبلوا جسومهم بخمر ... وهل نحتوا من الماس العظاما
وهل يغدون تحت الارض تبرا ... ويمسي غيرهم منها رغاما
اليس ترابهم ماء وطينا ... كما خلق الاله لنا ترابا
فان كانوا كغيرهم اناسا ... علام الان قد احتقروا الاناما
وان لم يفضلوا الدنيا بشيء ... الان فعلام منهم علاما

وهذا الشاعر نفسه الذي بلا الكثير من المصاعب ، وتلمس جوانب الحياة الاجتماعية ، واستشرف الوعي الراقي ، يلقي علينا في قصيدته الرائعة (لولا ضميري) دروسا بليغة في الاخلاق السامية . والساعية الى التوجيه السليم ، والتثقيف الصحيح لو وعاها شبابنا الطالع وتدارسها بروية وتبصر ، وسار على ضوئها في طريق الحياة لاكتسب رصيدا ضخما من الوعي والادراك ، وايا ما كان الامر فان البوادر تبشر بالخير ، فقد نفض شبابنا الصاعد عن وجهه غبار التقاعس والخذلان ، وشمر عن ساعد الجد ، واصبح على جانب كبير من متانة الخلق ورحابة الصدر ، وذا دراية واسعة بالتطور الحضاري الراهن الذي يستهدف الصالح العام فقال الشاعر الياس فرحات :

توالت همـوم الحياة عليا ... ولولا ضميري لعشت غنيا
فكم ثروة تعجز الحاسبا ... تلمت رعي لبعض التجار
فقلت السر بها هاربا ... فقال ضمير : حذار حذار
فارجعتها وظللت بديا ... ولولا ضميري لكنت غنيا
وبكر اتت حجرتي موهنا ... يقود خطاها غرور الصبا
فقلت سابلغ منها المنى ... فقال ضميري : الست ابا
فاقعدت من حسنها ناظريا ... ولولا ضميري : جنيت الشهيا
وسابقت في الشعر فرسانه ... فقصرت من فارسي مفلح
فقلت امرتل ميدانه ... فقال ضميري : الا تستحي
فمدلت حب التفوق فيا ... ولولا ضميري : تركت دويا
شكوت ضميري شكوى المجهول ... وتحت على الحظ نوح الغراب
فاسمعني الله صوتا يقول ... اتشكو ضميرك يا ابن التراب
ولولا ضميرك ما كنت شيئا ... ولو كنت من نيرات الثريا

وفي قصيدته (الفرح) ينحو نفس المنحى في (لولا ضميري) ،تجتلي فيها النفوس انوار الطهر والعفة والشمم، وتقدم للقارىء العربي نماذج حية من قيم الاخلاق الثمينة التي تهدف الى خلق جيل مثقف من الشباب الذي تفيض عواطفه بالوطنية والاريحية والنبل ، فينطلق الى عوالـــم انسانية متحررة فيقول :

انا لم افرح لانـي بطــل   مثل (دمي) اصرع القرم العنيد
او لاني في الدواهـي رجـل   لا يبالي ان دنا الخطب الشديد
ما بلاني
بل لاني ناصر حق الضعيف   حين لي الحق يعز الناصـر
ولاني حالة الفوز شريـف   ادعي ان سواي الظافـر
في السباق
انا لم افرح لاني عالــم   يتمشى فوق اعناق الدهـور
او لانـي ناثـر او ناظــم   يثني القراء ارباب الشعور
حسن نظمي
بل لاني لم احرك قلمـا   بالذي يكسو سوح الخجـل
ولانـي لم اسب الـ..ـا   جارحـا بالسب عند الجدل
قلب خصمي
انا لم افرح لحشدي اللعبا   واحيازي كل ما لذ وطاب
او لاني بعد في شرخ الصبا   انهل من مسرات الشباب
لا لعمري
بل لاني وافر العرض نبيـل   ولاني مخلص حر الضمير
ولانـي عندما يخلو السبيل   ابى اللبـل بشيء الفقير
مع فقري

بمثل هذه الاشعار يصور شعراء المهجر واقع وجودهم ويشيدون بالروح الانسانية الطافحة بها قصائدهم ، وهم واثقون من قابلياتهم على النفوذ الى حياة الاخرين ، وتصوير القلق العام المبهم الذي يسود جيلنا المعاصر ، وطوروا الشعر وعملوا على امتداده ونموه في الكثير من الصور والافكار والقوالب ، وفي ميدان التكنيك وتكوين الصورة الفنية ، التي ارتبطت بروح العصر الذي نعيش فيه ، مع البراعة الصياغية وانسياب التعبير وصفائه في صدق ، واهتدوا الى النفاذ لمجامع عواطفنا ، والى العالم النفسي والانساني الذي نقلونا اليه !

وقصائدهم تنطوي على امكانيات شعرية سابحة في العوالم الممتعة ، والخيالات المحلقة ، حافلة بالتمرد والغربة الحياتية وقد عاشت في ذواتهم مدة طويلة من الزمن لدرجة الاختمار ، فيها فيض من الاحساس ، وذات معان عميقة ، وانطلاق وعي موجه . وتنساب من اعماقها دفقات من الحنين والالم ، والعطاء الفكري المتبلور ، وان ادبهم في الواقع صورة صادقة لحيواتهم ، والشعر منه بوجه خاص ، وفيه ظمأ عنيف للحياة ، وارتعاشات وجدانية بالغة العمق ، مع استخدام الموسيقى الداخلية والصور في البناء ، والتعبير عن الحياة في شكلها الابداعي، وهو يتدفق بزخم حي متطور ، ويقف في صعيد الانسانية، ويعتبر بالفعل اثرا فنيا وفكريا رائعا في ابراز التجارب الشعورية في صور فنية ، وفي التصاقها بالعواطف الانسانية ، فهو فن مكتمل الاداء ، نابع من صميم الحياة والذي لم يكن بعيدا في اهتمامه عن الشواغل الانسانية التي اكسبت مواهبهم النشاط والحيوية والازدهار !

وان الغربة فجرت ينابيع الالهام داخل مستودع النفس فراحوا ينشدون الالحان الناعمة الحنونة ، فتلمس القلوب وتشد اوتارها بما فيها من دفقات شاعرية جياشة بصدق الانفعال ، وعمق الوعي ، وقد اشتد تعاطفهم مع الوجدان ، وادركوا من اعمق اعماقهم ان الادب مهمة خطيرة لانه عملية خلق وابداع ، عملية مخاض ومعاناة ، فاخــذوا يسعون للوصول الى اعمال ادبية على مستوى عالمي تشارف ذرى الكمال ، بالرغم من تضارب التيارات الفكرية في مفهومها الغامض الخيالي !

وما يزال الشعر المهجري موضع دراسة النقاد ، وينفرد بجانب كبير من اهتمامهم ومحور ابداعهم ، ونقطة انطلاقهم في مضمار البحوث الادبية المتاز ، وهو يحتاج الى عمليات كشف واسعة النطاق !

وان تراث ادبائنا الفكري والعاطفي في المهجر كفيل بان ينير الطريق امام ابناء الانسانية ، اذ ان آثارهم الادبية الخالدة تقف على الصعيد العالمي في طابعها ومميزاتها التعبيرية ! وهذه حقيقة لا يجوز انكارها ، ولا يقدم على الحط من قيمتها الا كل مكابر مغرض !

بغداد   خضر عباس الصالحي

عـــاد الشــتاء

الدكتـور عفيفـي محمـود

كليـة العلـوم – جامعـة القاهـرة

عاد الشتاء ..
كفت عن الضحك الخمائل والطيور عن الغناء ..
وتعرت الاشجار في وجه السماء .. بلا حياء !
وتثاءبت قبل الضحى الشمس الكسول
لا شيء الا صار يوحي بالافول
حتى السماء ..
وجمت ... وهمت بالبكاء ..
تبكي ربيعا كان عرسا يزدهر
وتلاه صيف كاد غيظا ينفجر ..
في اثره ولى خريف يحتضر ..
وتساقطت ايام عام مثل اوراق الشجر ! !
واصفر لون الذكريات .. . .
مثل القشور الذابلات ..
جفت .. ومن ريح العبير بها اثر ! !

عاد الشتاء ..
والبرد يعصف في جنون .. –
واللاجئون
النائمون بلا غطاء ..
تحت الخيام الباليات تضمهم ارض الكليم
هذي الخيام لهم سماء
وثقوبها المتآكلات هي النجوم !
هاتيك لا بردا ترد .. وتلك لا تعطى بصيصاً من ضياء

عاد الشتاء ..
والارض تغلي كالأتون
والثائرون على المظالم في الجزائر يذبحون
يبنون من اشلائهم صرح الاباء ..

عاد الشتاء ولا يزال
الزاحفون على الجليد من الشمال
يستكشفون ويطلقون كواكبا عبر الفضاء
والراقدون على السبائك في الجنوب
يتفيأون برودهم كيلا تذوب !
او ينصبون بها المصائد للشعوب
والارض أنهكها الصراع تسير مثقلة الضمير
والعالم المحموم ينتظر المصير
ماذا تخبيء في ردائك يا شتاء ؟ !
انا غرسنا للمحبة .. للسلام وللوفاء
اترى سنجنى فيك ازهار الوداد
ام ان ارواح العباد .. هي الحصاد ؟ !

الحب البائس

بقلم جورج سالم

كانا يجلسان منفردين في ركن ما من اركان بهو النادي .

وكان باب الردهة الكبير يفتح بين الحين والحين ، لتدخل منه عطور تضوع من ثياب النساء وشعورهن ، وبريق يتألق من حليهن ، ويخطو الرجال وراءهن بوقار وثبات وقد بدت شعورهم تلتمع في الضوء الباهر المنعكس عليها .

ليس يدري لماذا اختار هذه الطاولة البعيدة عن الناس . لعله كان يخشى الناس ، بل ربما كان ذلك لان هذه هي المرة الاولى التي تطأ فيها اقدامه عالما جديدا عليه ، غريبا عنه ، لم يألفه فيما مضى ، ولم يلجه من ذي قبل . ولقد الح عليه صديقه وزميله في دخول هذا العالم البهيج حيث الموائد عامرة والكؤوس مترعة ، وانغام الجاز تدوي بحة غريبة صاخبة . قال له زميله :

ــ لن تجد غير هذا المكان مجالا تتعرف فيه على « سوسن » ، وانا قمين بنقلك الى هذا الجو !

كان قد قطع قسما من حياته ينتقل من كتاب الى كتاب ، ومن شهادة الى اخرى ، حتى نال اسمى ما تمنحه الجامعة من شهادات وتفوق فيها جميعا .

لم يكن اللهو يعرف الى حياته سبيلا ، ذلك بانه اخذ نفسه بالجد الصارم ، وبالقيام بواجبه على اكمل وجه ، ثم عين مدرسا للادب في مدينته بعد تخرجه من الجامعة فراح يدأب على حسن اداء عمله ، من تحضير الدروس وتصحيح للوظائف ، لكنه كان رغم ذلك يذكر ، كلما الح عليه التعب واضناه العمل ، صورة بعيدة ، لفتاة كان تعرف عليها قبل نجاحه في البكالوريا ، الا ان سفره الى العاصمة ابعده عنها .

قال له صديقه :

ــ لا عليك ، فالوصول اليها ليس بالامر الصعب ، لا سيما وانك تتمتع بسمعة طيبة ودخل معقول .

كان على استعداد ، لان يعمل ليل نهار ، لكي يحسن من وضعه المالي ، ويتغلب ، بالزواج وبالحياة العائلية ، على وحدته الكئيبة التي لازمته منذ صباه .

ومال الى صديقه الذي كانت عيناه تتعلقان بكل جسم يفد الى النادي ، وتحاولان ان تلتهماه :

ــ اواثق انت من مجيئها الى النادي هذه الليلة ؟

فابتسم صديقه وقال :

ــ كل الثقة ، ما جئت هذا النادي مرة الا ورأيتها فيه مع اهلها .

ــ اليس لها عمل يصرفها عن مثل هذا الدوام ؟

قال صديقه وهو يحد النظر في النساء :

ــ كلا !

ــ الا تطالع بعض الكتب ؟

وتضايق صديقه من هذا السؤال يلقى في هذا المكان فقال ساخرا :

ــ لقد تركت المطالعة لك !

فسكت على مضض وراح ينتظر . لقد قيل له ان هذا الجو غريب كله ، وسيلاقي فيه اشياء لا يفهمها ، ولا يستطيع ان يدركها . ولكنه عزم على التجلد ، ورغب في دخول هذا الجو مهما كلفه الامر .

ــ انظر ، لقد جاءت ، اراتيها ، تلك التي ترتدي ثوبا ازرق شفافا .

ورنا الى الباب يحدق فيه من خلال نظارتيه الكثيفتين ، كان صديقه على صواب وتهادت الفتاة بين ذويها كأنها الفراشة ، عجبا كيف تسير هذه الفتاة ، اهي تطير ، ام تمشي على الارض مشيا ؟ !

وجلست الاسرة غير بعيد من طاولته ، يا للمصادفة ، وضحك في سره . ان الحظ يبسم له لا شك ، فهذه الفتاة التي يحبها ، على مرمى نظرة منه .

وعزفت الموسيقى ، وامتلأت الحلبة بجمهور الراقصين والراقصات . وكان صوت الكلارينيت يلف الاقدام ويطوقها بنغمه الخشن الابح .

قال لصديقه :

ــ ما ابهج هذا المنظر !

فاجابه صديقه :

ــ هذا افضل من التدريس ، اليس كذلك ؟

ــ لا شك .

ونظر الى الطاولة ، فرأى سوسن تتصدرها ، ومن حولها جلس ابوها وامها واخوها . كانت تنظر اليه ، فهز جليسه خفية :

ــ انها تنظر الينا ، اتراها تذكرني ؟

ــ اعتقد انها تذكرك جيدا .

اما هو فيذكرها ، ولقد ذكرها كثيرا . كان يذكرها كلما خلد الى نفسه وما اكثر ما يخلد الى نفسه . تعرف بها عند اقاربه وتحدث اليها ، على خجله ، انه ليذكر صوتها الناعم العذب .

ــ اليس في نيتك ان تراقصها ؟

ودهش لهذا السؤال الذي قطع عليه ذكرياته . كيف يراقصها وهو لا يكاد يلم بالرقص .

ــ واذا رفضت ان تراقصني ؟

قصة

ــ لقد قلت لي انها تعرفك بعض المعرفة ، ولست استبعد ان تقبل بمراقصتك ، اذا كنت تروق لها . لا تتردد . هذه هي العادة المتبعة في النادي . يبدأ الامر بالرقص ، وينتقل

الى الكلام ، ومنه الى دعوة العشاء ، ولا تلبث الامور ان تاخذ مجراها الطبيعي .

ــ بهذه السهولة ؟

ــ بهذه السهولة ، هل تريد ان اروي لك عددا من مثل هذه الحوادث ؟

ــ لا حاجة الى ذلك ، يظهر انك خبير !

كيف لا يكون صديقه خبيرا وهو يداوم منذ سنين على هذا النادي .

واصلح الصديق ربطة عنقه ، وعقد ازرار سترته وقام.

ــ قم . سأسبقك ، فاطلب مراقصة صديقتي كلود ، وما عليك الا ان تفعل كما افعل .

وامتثل لنصح صديقه .

ــ مساء الخير ، كيف حالك يا استاذ ؟

ــ الحمد لله .

ــ يسرني ان اعرفك على والدي ووالدتي واخي .

ــ تشرفنا .

وبعد المجاملات التقليدية ، اقترب منها يقول :

ــ هل لك في رقصة ؟

ــ شكرا ، انني متعبة ، شكرا جزيلا .

انسحب الى مكانه ببطء وهو يتصبب عرقا .

اترى صديقه قد غرر به ، ام انها متعبة حقا . يا لسوء حظه ، ليته ارجا هذا الطلب الى وقت اخر . لقد كان مستعجلا ، ولطالما حذرهم اساتذتهم في الجامعة من العجلة . كان يجب ان ياخذ بنصحهم ، فهم اناس ممتازون خبروا الحياة . اما صديقه هذا . . . ونظر اليه فرآه يرقص منسجما مع فتاته ، وهو يثرثر ويضحك، وفتاته تميل عليه هامسة !

وثبت في مكانه لا يكاد يجرؤ على الالتفات الى اية طاولة مجاورة .

ما اطول هذه الرقصة ، انه لم يشعر بطول الزمن كما يشعر به الان . متى يعود رفيقه فينصرفان . ولكن يبدو ان رفيقه لن يعود ، فالعازفون ما ان ينتهوا من عزف مقطوعة حتى ينتقلوا الى غيرها ، انهم ليعزفون شتى الانغام ولكنه لم يجد نغما واحدا يقترب من نفسه او يعبر عما فيها من قلق وضيق .

وحانت منه التفاتة فراى سوسن ترقص .

ــ عجيب !

ثم اعاد النظر ، لا ، ان لم يكن مخطئا ؟ فهذه سوسن نفسها ، تراقص شابا جميل القوام في مثل سنها ، حقا انه لماهر في الرقص ، واستدارت سوسن فراى وجه مراقصها .

ــ آه ، انه . . . هل هذا معقول !

كان منحنيا على الطاولة فاستقام . .

ــ سعيد نفسه . .

يا لله ، انه احد طلابه ، ما الذي جاء به الى هنا .

وكيف يراقص . . . لم يكن يقدر ان مثل هذا يحدث . لقد كان الفتى يستمع الى دروسه منذ ساعات في مدرسة (د . . .)

وشعر بالضيق يتفاقم على نفسه .

وضغط الفتى على ذراع فتاته ان انظري وراءك .

ــ انه استاذنا .

لم يشعر الفتى باي حرج اذ التقت عيناه بعيني استاذه كان الامر طبيعيا بالنسبة اليه . وحنى الفتى راسه محييا استاذه باحترام فرد عليه هذا تحيته بمثلها .

قال له في نفسه : « هنيئا لك ، فانت تضم اثمن لؤلؤة في العالم ، وتلف شبابا وجمالا رائعين بين ذراعيك الفتيين ، ايها الفتى . . »

وذكر آنئذ ان هذا الفتي ، من اغنى اغنياء المدينة ، وان اباه لا يملك مالا او محلا تجاريا او اراضي ، وانما يملك مصرفا ، مصرفا بكامله . . وابتسم .

كانت وفود الراقصين تتزايد شيئا فشيئا حتى ضاقت بهم الحلبة . ولم يكن الازواج يرقصون ، بل كانوا يسيرون سيرا بطيئا ، وتطأ الاقدام منهم الاقدام .

واقترب الراقصان الفتيان من طاولته وارهف سمعه :

ــ انه استاذ طيب القلب مخلص .

ــ انني اعرفه ، وقد سمعت كثيرا من التلاميذ يثنون عليه .

ــ متفان جدا في عمله ، ولكن الادب لم تعد له قيمة اليوم .

ــ فكر ابي في ان يكلفه باعطاء دروس خاصة لاختي ، فهي تعد شهادة الكفاءة .

ــ يستطيع ان يساعدها احسن مساعدة .

ــ ولكنني لم احب انفه الكبير وعينيه الناتئتين .

وضغط في يدها وهو يضحك :

ــ حذار ، فهو مرهف السمع .

وابتسمت الفتاة ثم صمتت .

وتعب الراقصون فراحوا ينسحبون زمرا زمرا ، وعاد صديقه فيمن عاد ، وخلت الحلبة الا من عدد قليل منهم كان دم الشباب لا يزال عنيفا في عروقهم .

قال له صديقه :

ــ ماذا ؟

ــ الامر اكثر تعقيدا مما تظن .

فلم يضف الصديق كلمة بل اكب على كاسه يرشف منها . وظل هو ينظر الى الراقصين والراقصات .

كان الفتى وفتاته لا يزالان يرقصان . فرنا الى سوسن ورآها تستدير ثم تستدير وتتقدم الى اليمين ثم تنحرف نحو اليسار وتعود لتستدير من جديد . وقدماها تتحركان كانهما طليقتان من كل اسر وقيد . كانت الانغام تصدح كانما لتغني لقدميها الرائعتين . وتقدم الزوجان من طاولته ثم ابتعدا عنها ، واتجها الى الوسط ، ثم عادا

دمـــوع .. وعـــذاب

الا رحمـة ايهـا الشاعـر   اليـس لهـذا الهـوى آخـر ؟
على شفتيـك رحيـق المنـى   وفـي قلبـك الالـم الكافـر
وتبكـي ، كأنـك قمريـة ..   يطاردهـا مخلـب كـاسـر
وتغمـس بالدمـع هذا النشيد   ليرسلـه نايـك الساحـر
وماضيـك .. هذا الذي صاغه   خيـالك ، والاميـل العاثـر

دع الغد يـذروه ، لا تحتفـل   بذكـرى غرامـك مهمـا اشتعل
وان طرقـت مسمعيـك الاغاني   ومـرت عـلى شفتيـك القبل
وضجـت بروحـك اشراقـة   تصـب الخيـالات ، طـي المقل
دع الحلم .. واشرب على قبره   ولا تبك طيفـا بـدا وارتحل !
فمثلـك احـرى بـان ينتشي   ويسكـب للناس اشهـى الغزل !

فلا تبك .. لا تبك يا منشـدي   فـان كلينـا عـلى موعـد ..
تثـور الليالـي ، باضلاعنـا   وتحـرق باللهيـب مـا نرتدي
ونحـن ، كما كان قيـس وليلى   نضـل الطريق ، ولا نهتـدي
تبسم ودع عنك هـذا القنوط   لنمضـي الغـين للمـورد
فهـذا الربيـع .. وتفاحـه ..   تنفـس فـي كل خـد نـدي !

القـدس   **راضي صدوق**

سيرتهما الاولى ، كان تلميذه ينظر اليه وكانما يطلب رايه في براعته ، « الست اجيد الرقص يا استاذ » . وهز راسه كانه يجيب « بلى انك لتجيده احسن اجادة ، كيف لا واقدام فتاتك تنسج اجمل الالحان ! »

ــ الا تنصرف ؟

ــ ولكن الساعة لم تتجاوز الثانية عشرة .

ــ لقد تاخرت وليس من عادتي ان اسهر .

ــ ستعتاد السهر .

ــ عندي عمل في المنزل .

ــ الان ؟

ــ نعم .

ــ وماذا ستفعل ؟

ــ ساحضر درس الغد .

ــ الن تكف عن تحضير الدروس واضاعة وقتك سدى

ــ ما اكثر ما اضيع اوقاتي سدى !

وقال صديقه بلهجته الساخرة :

ــ وما يكون درس الغد ؟

وابتسم المدرس ابتسامة شاحبة ونظر الى صديقه الذي كان يعب الخمر عبا ، وتمتم وهو على اهبة المضي .

ــ ساحدثهم عن ابن المقنع ، وساقرا لهم من كليلة ودمنة قصة الحمار الذي قال عنه ابن آوى انه لم يكن له قلب ولا اذنان ! !

حلب   **جورج سالم**

قيم البطولة الخالدة عند المتنبي

بقلم عادل الهاشمي

عشنا في مقالنا السابق مع شخصية المتنبي الجبارة ، مع البطولة المتفجرة في اهاب شاعر ! (١) وتملينا خلال البطولة التي تزخر بها نفسه وتتوثب ، ولمسنا عن قرب كيف كانت روحه العالية ، ونفسه الكبيرة تشرئب ، الى كل ما صعب مناله ، وعز على عمالقة الرجال نواله . فكاد فكره لا يقف ، الا عن كل فذ جبار .

كانت روحه المضطرمة بالقوة ، الجياشة بالعظمة تسري في شعره قوة وحياة .. قوة تنطلق من كل بيت ولفظة وقافية : قوة فكر لا حدود لها ، تقتسر الافكار وتخضعها لقريحة الشاعر الجبارة ، وترسلها ارسال السنن والشرائع . وخيال جبار محلق في اعال سحيقة لا ترنق جناحاه ابدا او لا تكاد . وموسيقى شعر تصدح بنغمات العنف والقوة وجلبة المعامع ، مجلجلة ابدا ، مدوية دائما .

ويكاد يصطبغ بالقوة التي تضطرب بين حناياه ، وبالعزيمة الفوارة التي تجيش بها روحه كل ما فاض به فؤاده من فن القول .

لقد درج شاعرنا من حجر الحرب ، امه الرؤوم ، وترعرع بين ميادينها . فكانت ساحتها مراح سعادته ، وانس فؤاده ، وسر قوته . وكانت سيوفها ورماحها اخوة له ، احبة اعزة .

اخذت عليه الحرب مواجد نفسه ، وعواطف قلبه ، فتراءت له ابجدية لحياة ، وحروف هجاء ، وكتاب خلود وعزة ، تنطق بلغة الحياة الحرة العزيزة . اما الكتاب فموضوعه جيش يزحم الفضاء ، وتضيق به البيداء ، ولما يلتحم وينتشر في زحفه على الاعداء . قد اختير له عنوانا ـ عجاج الحرب وقتامه . واما حروف هجاء هذا الكتاب او الخطاب فمن جنسه ونوعه : جواد ، ورمح ذابل وحسام .

ورب جواب عن كتاب بعثته ... وعنوانه للناظرين قتام
تضيق به البيداء من قبل نشره ... وما فض بالبيداء عنه ختام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة : ... جواد ، ورمح ذابل ، وحسام

ومن هذه الابجدية ما ترسمه السيوف سطورا والرماح اعجاما على جبهة الفتى الباسل ، فهي اوسمة بلائه في الحرب ، وعنوان بطولته .

وكل فتى للحرب فوق جبينه ... من الضرب سطر ، بالاسنة معجم

ومن كانت هذه لغته وابجديته ، حري أن تنبع من غزارة السحب سيوفه وثواضبه ، فلله سحب تنثال شآبيب سيوف !

سحاب يمطرن الحديد عليهم ... فكل مكان بالسيوف غسيل

واحر بسحب الحديد هذه ان تولد بحارا ، وتزخر عبابا

رميتهم ببحر من حديد ... له في البر خلفهم عباب

من ينابيع القوة المتدفقة هذه في شعر المتنبي ، لا غرابة ان تنبجس قيم بطولة خالدة لمن تعشق الخلود ، وهام بالحياة العزيزة الكريمة . . والمتنبي حين يخط لنا مدرج البطولة ومثلها ، شاعر تمرس بهذه القيم والمثل ، احبها وامتزج بها ، فكانت قطعة من نفسه ، وجزءا من كيانه ، ومفسرا لبطولته ، وجموح طموحه . فانسابت من خلده مثلا عملية كتب لها الخلود ، وتجاوبت اصداؤها في شتى العصور .

اولى هذه القيم ، العزيمة ، فلا محيد لكل بطل عن التجمل بعزيمة تغمر جنانه بالصبر ، وتملأ نفسه بالثبات والصمود ، وتزود روحه بالاقدام والاقتحام والتصميم . وبمقدار صلادة العزيمة وتوثبها تمرح آيات البطولة حية على مسرح الحياة . ومتى سمت النفس وسمقت آمالها صغرت المظالم ودنا جليلها .

على قدر اهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

وتتوهج العزيمة في نفس البطل حتى يتفجر كيانه بالحيوية الدافقة التي لا تدري ما الكمون والاستقرار ؟ فالفارس اذا ما امتطى صهوة الجواد تأججت في عروقه دماء العزيمة ، فلا يطيق جسمه مكوثا على متن الجواد فهو في سباق مع الريح .. ويأنف قلبه المضطرم باقوى منازع التصميم ان يخلد الى السكون والركود في جوف الجسد فيثب قافزا يسابق الآمال . .

يعزم يسير الجسم في السرج راكبا ... به ويسير القلب في الجسم ماشيا

ومن لنا بمثل هذه العزيمة ترمي عن قوسها جنان الهلال فتصميه ، وتشق طريقها السامي الى العزة والمجد .

ومن يك قلب كقلبي له ... يشق الى العز قلب التوى

وثاني قيم البطولة التي يجليها لنا ابو الطيب ، قوة الراي وحصافة التفكير ، وحسن التدبير ، لازمة كل بطل مقدام ينضج عقله بالراي ، ويزدان بالابداع والابتكار ، فلا بد لكل فتى من عقل نير وقاد يباده الاحداث بجراة وروية يشقق صلادة جلاميد الصخور .

ولا بد للقلب من آلة ... وراي يصدع صم الصفا

وليس بعد هذا الصاحب الراي ان يخدع بدموع العدو وضراعته ، فمن ورائهما الغدر والهلاك .

لا يخدعنك من عدو دمعه ... وارحم شبابك من عدو ترحم

هذه قيمة الراي ، فما منزلته وخطره ؟ وايهما يتفرد في ميدان البطولة بالسبق . الشجاعة ام الراي ؟ هذا ما يجيب عنه المتنبي اجابة حاسمة جازمة .

(١) نشر المقال في عدد نوفمبر صفحة ٣٢ تحت عنوان « المتنبي بطولة متفجرة في اهاب شاعر » .

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول ، وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه   بالرأي قبل تطاعن الاقران

وثالث القيم التي تتراءى غزيرة في شعر المتنبي ، العزة والكرامة والشمم . القيم العليا لكل ابي في الوجود . وما كان الظفر بهذه القيم الرفيعة ليستدعى بالتمني والامل المجرد ، بل يقتضي مهرا غاليا ، ويتطلب شروطا قاسية ، لا ينهض لها الا ذوو العزائم الجليلة ، والنفوس الكبيرة .

فرباطة الجاش وثبات الجنان ، وقوة العزيمة ، كهرباء تشحن الجسم والعزم بالقوة الملتهبة ، والصمود المتوثب . وما تجيش غوارب البطولة الا اذا كان القلب مدخرا ومولدا لعزماتها ، يبعث الدماء حارة فوارة ، تسري في اوصال الجسد نشاطا وحيوية واندفاعا .

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه   على حالة لم يحمل الكف ساعد

والحقيقة الجلية المكرورة ، المعروضة على الانظار ، ان عمر المرء محدود باجل ، وان الموت آت لا ريب فيه ، فلا نامت أعين الجبناء !

ولو ان الحياة تبقى لحي   لعددنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد   فمن العجز ان تكون جبانا

وما الذل ، وما الرضا بالهوان الا موت ، وانقطاع عن شجرة الحياة ! بل الموت خير منه واكرم . فمن مات فيه الشعور بالكرامة لم يحس خدشا بها ولا جرحا .

ذل من يغبط الذليل بعيش   رب عيش اخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

وفي الابيات التالية تعرض لنا ريشة الشاعر المبدعة صورة نفسية شفيفة عن القوى المعنوية في ساحة الوغى ، مسرحها مدينة مرعش في بلاد الروم ، وقد اضحت ساحة حرب ومناجزة يتنازعها طرفان : الاول ، سيف الدولة الحمداني ورجاله البواسل ، وفيهم شاعرنا البطل . والثاني : ملك الروم وجيشه . ولكن لن يستمر الطرفان امام انظارنا طويلا متناجزين متحاربين ، اذ تسارع ريشة الشاعر بعرض الخاتمة السريعة . فهذه سرايا سيف الدولة تزحف كالصاعقة ، اثر ملك الروم وجيشه ، وهو يسابق الريح لياذا بالفرار ، وطلبا للنجاة ، قد خلف اصحابه مجندلين على الثرى ، واموالة تعيث بها الايدي الغانمة سلبا ونهبا .

لقد كان الدمستق ، وقد اقبل الى مرعش يثب بهمة ونشاط يطوي الابعاد مستقربا ، ولكن ما عتم حين احتك بجيش سيف الدولة ان خارت قواه ، واستبد به الجزع فولى ، وقد مد الفزع الطريق متطاولا امامه الى بلده ، والطريق قريب يسير ! .

سريك ترى ، والدمستق هارب   واصحابه قتلى وامواله نهبى
اتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا   وادبر اذ اقبلت يستبعد القربى

وفيما يلي صورة معبرة عن الجبن والاستخذاء والهوان تبدى في الانهزامية الذليلة ، جلية في كراهية الجبان للسلاح الحبيب ، اداة العز والسؤدد ، وتوليه لواذا بالادبار غنيمته في تقوله المرتعد فرق وهلع ورهبة .

كذا يترك الاعداء من يكره القنا   ويقفل من كانت غنيمته رعبا

كل انسان يحب الحياة ، يهيم بها ويشغف ، ولكنه شأو بعيد بين حب وحب ! فالجبان يعلق بالحياة دعة واسترخاء ، وبعدا عن ساحات الحرب ، فما اتفهها من حياة ! اما الشجاع فيحبها عزة تقتسر ، واملا ينتزع في معمعان الكريهة والنضال ، فانما تؤخذ الدنيا غلابا !

ارى كلنا يبغي الحياة لنفسه   حريصا عليها ، مستهاما بها ، صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى   وحب الشجاع النفس اورده الحربا

ورابع قيم البطولة التي يزخر بها شعر المتنبي ، البسالة والشجاعة ، وهي في الواقع زينة الخلق البطولي وقلادته فآمال البطل لا تتحقق الا ببسالة تقد قلبا من الصخر ، وتجعل المستحيل ممكنا . ان من لا ينتضي السيف مطية لامانيه لن تخر له الامال طوعا وكرها .

من اكتفى بسوى الهندي حاجته   اجاب كل سؤال عن هل بلم

وصيانة الكرامة والشرف ضرب من الخلق البطولي عظيم ، ولكن سبيله خوض المعامع ، ومغالبة الاحداث واهراق الدماء .

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبه الدم

اما الممالك الرفيعة السامقة ، والدول المنيعة الحصينة ، فانما ترسى على قواعد القوة ، وتعشق السلاح وعناق القنا . فالطعن عند محبي القنا يعدل طعم القبل .

اعلى الممالك ما يبنى على الاسل   والطعن عند محبيهن كالقبل

ولعمري ما جدوى الجياد المطهمة ، والقنا المشرعة ، ان لم يكن الفارس بطل الساح المجلي ؟ !

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا   اذا لم يكن فوق الكرام كرام

هذي السيوف وقد استحالت ببراعة ريشة الشاعر السحرية ذوات قلوب ، ولكنها قلوب حادة جريئة ، تمزع الرقاب اذا قيضت لها العزائم التي تحكي جراءتها وحدتها حين تدلهم المعركة . والا فهي قطعة من الحديد لا تضر ولا تنفع .

ان السيوف مع الذين قلوبهم   كقلوبهن اذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حده   مثل الجبان بكف كل جبان

والشجاع لا يتكفف الاماني ولا يستجديها ، فما لهذا خلق ، فان عزمات البطولة التي تنفخ فيه روح البسالة والاقدام ، قد عودته فرض امانيه على الاحداث والزمن فهو بروح البطولة الضارية ، والعزمات المتفجرة يتزود كلما سار على درب الامل .

ومن الحاق التماس شيء غلابا   واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى   ان يكون الغضنفر الرئبالا

والشجاع من يتخذ من الثبات والجلد والصمود حلية وسجية ، لا تفل عزيمته النوائب ، ولا تحطم اقدامه

العقبات ، والسيف عنده محل التكريم والتجلة ، هو الداء والدواء .

والشرفية لا زالت مشرفة   دواء كل كريم او هي الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها   في الدرب والدم في اعطافها دفع

والصبر زاد النصر ، وعدة الفوز ، وكم تحكي لنا حروب التاريخ انتصار جيوش صغيرة بسيطة في عدتها وعددها على جيوش جرارة مجهزة باقوى العدد ، وسر هذا الصبر والصمود والثبات ، ومتانة الاعصاب في احلك الساعات التي غالبا ما يتقرر فيها مصير المعركة . وما مثال صمود صناديد بور سعيد البواسل امام جحافل الدول الثلاثة المعتدية ، الا مثال ناطق ، وحجة قاطعة على انتصار القلة الصابرة الباذلة على الكثرة الباغية العاتية .. ان الخلود مرهون بتعشق الموت ، « فاطلب الموت توهب لك الحياة ! »

فان تكن الدولات قسما فانها   لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن هون الدنيا على النفس ساعة   وللبيض في هام الكماة صليل

وخامس القيم البطولية التي يحفل بها شعر المتنبي ، الطموح ، وتحقيق الامال . فما طعم الحياة ان لم تكن املا يرجى ، وامنية تبتغى ؟ ! وما قيمتها إن لم تسبح اطياف النفس في بحر الرجاء ؟ ! والطموح - بعد هذا - رمز سمو اماني النفس ، ورفعة آمالها ، وبذل ثمن المجد .

واذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الاجسام

ومن كان تروحه طماحة ، مستشرفة للمعالي ، فليقدم لذلك رصيدا من الصبر على تكاليف العلا الما ورهقا .

تريدين لقيان المعالي رخيصة   ولا بد دون الشهد من ابر النحل

ومن حلق فؤاده في سماء السؤدد والمجد فليخفق بالامال السامقة ، والاماني الباسقة ، وجدار ان يقع على ما دون النجوم هدفا وشرفا مروما ! فالموت الذي يعترض تحقيق الاماني ، لا يفرق بين كبير الامال وصغيرها .

اذا غامرت في شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر صغير   كطعم الموت في امر عظيم

وتقلد مرتبة الكمال مطمح كل بطل رئبال ، وليس بطلا من رنق بجناحيه ولم يسم الى مرتبة الكمال .

ولم ار في عيوب الناس شيئا   كنقص القادرين على التمام

وسادس القيم التي تتوج بها قيم البطولة في شعر المتنبي ، بلوغ العلا ، والتربع على عرش المجد ، فهو الهدف الاسمى المنشود الذي تشد اليه الرحال وتقصد لبلوغه الامال ، وانه للمجد الحق عند المتنبي - فليس ترفا في الحياة او ميوعة اولهوا، ليس خمرا اوقنينة ووترا. انما هو الظفر في معترك الوغى ، يضرب بالسيف فريد الاثر ، وامتلاك الجيش العرمرم ، الذي يزحم الفضاء ، ويضيق به البيداء ، وينعقد فيه قتام الحرب وظل الهبوات السود . وما يرضي المتنبي بالمجد الا اذا كان هو اول رواده ، لم يتربع على اريكته احد سواه .

يقولون لي : ما انت في كل بلدة ؟   وما تبتغي ؟ ما ابتغي جل ان يسمى

انه المجد الذي تدوي به الدنيا ، جديدا على السمع ، فريدا ، فلا تدري كنهه ، ولا ترقى بفكرك سموقه . يستجيش فيك مشاعر الدهش والحيرة ، ومن ثم تقلب الانامل في سمعك ، لا تقوى على احتمال شدته ، او اطاقة دوي آماله ..

ترى ما هو المجد الذي يبغي المتنبي ، فلقد حير الالباب ، واطلق افانين التساؤل ؟

ولا تحسبن المجد زقا وقينة   فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى   لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كانما   تداول سمع المرء انمله العشر

هذه طائفة من قيم البطولة ومثلها ، كما تراءت لنا في شعر المتنبي ، عزيمة الفجر القوي ، وتبعث الحياة حارة ملتهبة ، تذلل كل صعب ، وتطوي كل مستعص وعر . وقوة راي مدركة ، مبتكرة ، تصدع صم الصفاء ، قد تبذ الشجاعة والبسالة احيانا . وعزة اباء وشمما ، هي قلادة الخلود لكل حر ابي في الوجود . وبسالة مستعلنة هي زاد البطولة ومحركها ، تقتسر الامال ، وتحطم كل قوة باغية . وطموحا سامقا شامخا يعانق النجوم ، واملا رفيعة تزين الحياة وتجملها . واخيرا قمة قيم البطولة ومحصلتها تتجلى مجدا باذخا فريدا لم يتربع على عرشه انسان ، ولم يسمع به الحدثان ..

هذه قيم البطولة ومثلها ، كما جلاها لنا ابو الطيب ، مصعدا للبطولة في معارج السؤدد والمجد والخلود .

حلب   **عادل الهاشمي**

العتبه

الفراغ
صنم يزأر في صدري ..
ودنيا تتهدم
وانا ، بين الحروف السود ،
اعمى القلب .. ابكم
جبل من جثث الاطفال
ينهار على صدري ..
ايا صدري تكلم –
يبس الحرف باعماقي ومات
عاجز ان يحضن الموت الحياة :
« عند العتبه
ذئب ثلجي الانياب
يتمدد كالبحر الهائج
ويحطم اقفال الباب
عند العتبه
قلبي يركع .. يبكي
يسال عنك
يا بنت النار الوحشيه
يا كلماتي اللا مرئيه !
عند العتبه
عشر سنين مجنونه
وشراع مكسور الصاري
لا ضوء يداعب اشعاري
غير الاشباح الملعونه »

من ينابيع الظلام المستطيله
كنت انساخ
على الاسوار والصفحات كالحمى ،
كاعصار جريح
كان لي جيش من الاسماء ..
اسمائي الجميلة
خلعت ، في دربها المسلول ،
اوراق المسيح
ثم ضاعت في زقاقات المدينه

مالح طعم الاعاصير الحزينه ..
مالح صوت العصافير على شباك بيتي
حطمي الشباك ، يا آلهة الشعر ، وهاتي
زندك العاري الجميل
ايقظيني ، ايقظي الاشعار
في صدري الهزيل ..
حطمي المرساة في قلبي ، فقبلي
راهب يلهث في سرداب صمتي :
« سالوني عن صمتي الاكبر
عن شيخ مغرور اسمر
يتمزق في قلبي الدامي
ويحطم اجمل ايامي
سالوني ، والحرف الاسود
مشلول يرقص في معبد ،
عن جرح يكتب في وجهي
اللغز المطلق والكنه »

... منذ بدء الارض ما زال السؤال المستحيل
يقرع الابواب جيلا بعد جيل
والعبيد الخائفون الجالسون
ياكلون الصمت في الليل الطويل
كم شتاء سوف نبقى راكعين
تحت ثلج اللغز والعتم الثقيل
نتلهى ببخور الاتقياء
بالذي تلقيه للارض السماء
كم شتاء .. كم خريف .. كم ربيع

سوف نبقى
اغبياء القلب .. حمقى ،
كالقطيع ، نعلك الجمر ونجتر الصقيع ؟
... بانتظار الصيف ..
اين الصيف ؟ اين الموسم القمر البديع
....
من شتاء .. لربيع .. لخريف ،
تحت نار اللغز والعتم الكثيف ،
سوف نبقى اغبياء القلب .. حمقى ،
كالقطيع ، نعلك الجمر .. ونجتر الصقيع !

كمال خير بك

ايليا ابو ماضي كما عرفته

بقلم توفيق فخر

القى الدكتور رزق الحداد الطبيب والخطيب المشهور في احد المحافل خطبة رائعة اتى بها على صورة جلية للنابغة ايليا ابي ماضي عندما كان في مطلع شبابه جاء فيها :

« شاب اسمر اللون نحيف الجسم قصير القامة مستدير الراس براق العينين . عالي الجبين كثير التفكير في مقدم العنق بروز الغدة الدرقية التي تفرز في الجسم عصير الحرارة والذكاء وفي مؤخرة الراس بروز واتساع في ساحته وهو في اعتقاد الكثيرين مركز الخيال والعواطف والانفعالات الشديدة فكان الطبيعة ارادت أن تصنع منه نابغة من نوابغ الشعر في هذا العصر وان كانت لم تجعله من جبابرة الاجسام فقد جعلته جبار النفس كثير الطموح للاقدام على جلائل الاعمال والتغلب على مصائب الحياة (آه) » .

وقد ازداد وزن جسمه عندما اصبح في طور الكهولة فقد جل شعر راسه وتغيرت قليلا ملامح وجهه . وقال عنه الاستاذ فارس الخوري عندما قدم الولايات المتحدة على راس الوفد السوري لحضور مؤتمر سان فرنسيسكو الدولي الاول : انه فلتة من فلتات الطبيعة . ولما سئل امير الشعراء احمد شوقي من الذي سيكون خليفته اجاب بدون تردد « ايليا ابو ماضي » وقد كان ابو ماضي يعرف من نفسه المقدرة الشعرية والقوة الفكرية فقال في مطلع احدى قصائده :

ان الطبيعة وهي اعظم واهب : جعلت نصيبي القوة الفكرية

لم يصل ايليا ابو ماضي الى المرتبة العليا في الشعر بنبوغه فحسب بل بالدرس المتواصل والجد والاجتهاد فانصرف بكليته الى الادب واحتراف الصحافة في حين كانت صناعة الادب كاسدة في ديار المهجر وساعدته معرفته الواسعة بمفردات اللغة العربية على تادية المعاني الجميلة التي كان يبتدعها خاطره الوقاد والباسها حللا ناصعة فكان عندما يباشر نظم قصيدة تسمع دمدمة صادرة من فمه ذات نغم منخفض بينما يكون عقله الباطن يقوم بعمله باعداد القصيدة .

ان نثره يقارب الرقة والجودة شعره فياتي بالتشابيه البديعة كما ياتي بها في شعره وقد قال احد علماء الفصاحة ان الناثر المجيد يجب ان يكون شاعرا لتظهر طلاوة نثره .

كان ايليا اذا قصد ان يكتب مقالا رئيسيا في جريدته السمير فما عليه الا ان يحدد الموضوع فتتهيا له اساليب الكلام وتاتيه المعاني بدون عناء وله عين يقظى وفكر حاد يوحيان اليه الموضوع من كلمة يقولها احدهم او نظرة تقع عليها عيناه .

عندما ترك رئاسة تحرير جريدة مرآة الغرب النيويوركية انشا مجلة السمير فراجت رواجا حسنا الا ان نفسه الكبيرة كانت تطمح الى اصدار جريدة يومية فاقدم على هذا العمل الخطير بتحويل المجلة الى جريدة يومية في زمن عصيب وبراس مال زهيد جدا فواصل النهار بالليل عاملا مجدا فاتقن صناعة التنضيد والطباعة وكان بوسعه أن يقوم مقام اي عامل في الجريدة حينما يضطر احد العمال الى التغيب مؤقتا . وما زال يسير بسميره من ازدهار الى ازدهار حتى بلغ به معارج الفلاح وفاز باقتناء بناية خاصة للجريدة جهزها بسائر ادوات الطباعة .

نفسيته واخلاقه

ليس من شاهد ادل على نفسيته واخلاقه من قصيدته التي عنوانها (انا) ففيها البيان الصريح عما طبع عليه من المحبة والاخلاص والوفاء لاصدقائه وهذه بعض ابياتها :

حر ومذهب كل حر مذهبي ... ما كنت بالغاوي ولا المتعصب

اني لاغضب للكريم ينوشه ... من دونه والوم من لم يغضب

انا لا تغرني الطيالس والحلى ... كم في الطيالس من سقيم اجرب

اني اذا نزل البلاء بصاحبي ... دافعت عنه بناجذي وبمخلبي

وشددت ساعده الضعيف بساعدي ... وسترت منكبه العري بمنكبي

فاذا رآني ذو الغباوة دونه ... فكما يرى في الماء ظل الكوكب

قد يقول البعض ان هذه القصيدة تحوي غلوا فاحشا كما هي العادة المتبعة عند الكثيرين من الشعراء فلاجل نقض هذا الادعاء اقدم دليلين من ادلة عديدة :

عندما اشتدت الضائقة المالية في الولايات المتحدة تلكا عدد غفير من مشتركي جريدة السمير عن دفع بدلات اشتراكاتهم بضع سنوات وقد نصحه كثيرون كي يحجب الجريدة عنهم فلم يفعل وكان جوابه الوحيد انهم كانوا انصار الجريدة الاوفياء في زمن الرخاء فلا اتخلى عنهم في زمن الشدة فلما نشبت الحرب العالمية الثانية ونشطت حركة الاشغال العمومية قدر له اولئك المشتركون تلك العاطفة الشريفة واقبلوا على دفع كل ما كان يطلب له منهم فتدفق عليه المال بغزارة ومن مزاياه انه كان لا يطالب اديبا ببدل اشتراك ولكنه لا يحجم من قبول المبلغ اذا ارسل الاديب بدل اشتراكه من تلقاء نفسه .

رافقته سنين عديدة غير انني في السنوات الاخيرة من مرافقتي له لم اقض بالعمل سنة واحدة بكاملها فاحيانا كنت اعمل في احدى السنين ساعات معينة اسبوعيا واحيانا اشهرا معينة وكثيرا ما اختلفت واياه وغادرت الادارة فكان يتوسط بيننا المتقدم بالكهنة مكاريوس المر على أن اختلافا اخيرا حدث بيني وبين ابو ماضي لم يتصل سمعه بالكاهن مكاريوس لانه كان مريضا وفي خطر الموت . وقد توفي بعد يومين من ذلك الحين فوقع علي

* من كتاب تراجم الادباء العاصرين في مدينة نيويورك ، المعد للطبع.

الاختيار لتراس حفلة تابينه وكان في عداد المؤبنين ايليا ابو ماضي فاجتمعنا لترتيب امور الحفلة وتصافت قلوبنا فكان ذلك الكاهن الصالح واسطة سلام بيننا حيا وميتا .

قصدت في احد الاعوام القيام برحلة الى الجمهورية الدومنكية فجئته مودعا فقال لي اني كنت على اهبة ان ادعوك لتناول طعام الغداء معي فاتدبنا مطعما قريبا وفي اثناء وجودنا حول مائدة الطعام سحب من جيبه غلافا مختوما ودفعه الي قائلا : اسالك ان لا تفضه الا بعد عودتك الى المنزل فعملت بموجب رغبته . وعندما فضيت الغلاف وجدته يحوي على حوالة بمائة دولار وبطاقة كتبت عليها الابيات التالية :

وعدت بالترفيق يا توفيق	رافقك الهناء يا رفيق
مثانة كقلبه رقيق	يا شاعرا اخلاقه كشعره
في زمن قل به الصديق	انت صديق لا يحول وده

ايليا

فاثر بي جدا هذا الاخلاص العظيم وخاطبته شاكرا ومتسائلا لماذا لم يدعني افتح الغلاف بحضوره. فاجاب لاني اخشى انك كنت ترفض الحوالة بكل تاكيد .

ولم ازل احتفظ بتلك البطاقة التاريخية الثمينة .

ورب سائل يقول : وكيف تعلل تلك المناظرات العنيفة التي دارت بينه وبين عدد من اصحاب الجرائد الاخرى. فاقول ان تلك المناظرات لم تكن من صنعه ولا من صنع احد سواه من اصحاب الجرائد انها رافقت الصحافة العربية منذ نشأتها في ديار المهجر . فكانت في بادىء الامر خلافات طائفية ثم تحولت الى شخصية وقد اصبحت في وقتنا الحاضر سياسية ولو شئت لعددت منها العشرات منذ ما برزت الصحافة العربية الى الوجود في العالم الجديد .

كان لايليا ابو ماضي اضداد كثيرون اوجدت بعضهم المنافسة الصحافية وبعضهم الظروف المختلفة فناصبوه العداء الشديد فكان اذا هاجمه مهاجم يغضي عنه طرفه حتى اذا تمادى في التحامل ارتد عليه بحملة شعواء لا تبقي ولا تذر .

عندما بلغ اوج الشهرة ادبيا وماليا انهالت عليه الرسائل من لبنان وسوريا والعراق وشرقي الاردن ومصر . هذا يطلب اليه بالحاح مالا يساعده به على المهاجرة . وذاك يساله خدما وآخر نصائح وارشادات أذكر منها مثالين :

جاءه كتاب من فتى في لبنان يقول فيه : ان اباه الذي كان مهاجرا في احدى جزائر الهند الغربية الانكليزية قد عاد الى الوطن منذ بضع سنوات يحمل مبلغا كبيرا من المال وقد توفي والده منذ عهد قريب بعد ان خسر كل ما جمعه من المال في ديار الغربة وهو يذكر ان اباه قال له مرة انه كان مشتركا « بالجريدة » فمن العدل ان يرسل اليه صاحب الجريدة مائة وخمسين دولارا ليهاجر الى اميركا فراجعنا الدفاتر القديمة فلم نعثر على اسم والده ومن المحتمل ان والد الفتى كان مشتركا في إحدى جرائد نيويورك فلم يجد الابن امامه سوى جريدة السمير ليوجه اليها نداءه .

واستلم كتابا آخر من الوطن القديم يقول فيه مرسله : بلغني باسف كلي نعي نسيبي الكاتب الفلاني الذي كان قاطنا مدينة البني عاصمة ولاية نيويورك واني لاعلم ان نسيبي المتوفي كان ينشر المقالات في الصحف العربية التي تصدر في اميركا الشمالية فارجو منكم جمع تلك المقالات من الجرائد والمجلات وتقديمها لي ولكم الشكر .

فكان ايليا يلقي بتلك التوافه في سلة المهملات مما جلب له متاعب وخلق اعداء كالحادثة الآتية :

ارسل اليه اديب معروف في مصر منذ سنوات سابقة رسالة يقول فيها انه يود القدوم الى الولايات المتحدة ويسال ابو ماضي ان يرشده الى طريقة يستطيع الدخول بسهولة مع عائلته الى تلك البلاد فاغفى ايليا عن مجاوبته. ومما يجدر ذكره ان بعضا من ابناء الوطن المتخلفين يعتقد ان لاصحاب الصحف العربية في اميركا الشمالية نفوذا واسعا في دوائر الحكومة الاميركية وكلمة مسموعة في ادارة المهاجرة وهو وهم متسلط على العقول فالصحافة العربية منذ نشأتها حصرت شؤونها وجهودها في الدائرة التي تحيط بها ولم تتعداها الى سواها واذا تنوقلت الاخبار من حين الى آخر ان احد ابناء الوطن المهاجرين احرز مقاما مرموقا في دوائر الحكومة الاميركية فهو من النشء الجديد اي الجيل الثاني المولود في هذه البلاد وعدد هؤلاء ضئيل الان جدا على ان الامل معقود ان ابناء الجيل الثالث والرابع سيسدون هذا النقص ويكثر عدد اصحاب المراكز العليا في الدوائر الحكومية والشركات الصناعية الكبرى .

وبعد مرور عدة سنوات قدم ذلك الاديب المصري مع عائلته الى مدينة نيويورك العظمى وفي نفسه اثر سيء من اهمال ابو ماضي مجاوبته فناصبه العداء سرا ولم يدع فرصة سانحة دون ان ينتقص شعره ومقامه الادبي في الجرائد والمجلات التي كان يراسها .

سألت مرة ايليا عن السبب الذي دعاه للتغاضي عن الجواب الى ذلك الاديب المشار اليه فقال ان الكتاب جاءه عندما كان ساعيا لتحويل مجلة السمير الى جريدة يومية ولديه مشاكل عديدة ومصاعب لم تدعه يلتفت الى سواها.

ومن الذين ناصبوا ابو ماضي العداء الشديد المعلم روكس الزوايدة المدعو بالعزيزي في شرقي الاردن وقد استوضحت من ايليا السبب فكان ما يلي :

كان العداء مستحكما بين العزيزي وبين كاتب بحاثة من عمان اشتهر باطلاعه الواسع على الادب المهجري

وتخصص بدراسة ادبائه . وكان هذا البحاثة الشهير صديقا مخلصا لايليا ابو ماضي . يراسله ويفاخر بادبه وشعره . ولم يكن ابو ماضي يعلم شيئا عن العداوة الكائنة بينه وبين العزيزي . فكتب اليه رسالة يمتدح من نشاطه . فنشرها في احدى المجلات الوطنية . فاثارت حفيظة العزيزي وتوهم ان ايليا يساند خصمه ضده فاختلق مع زميله المصري تلك الاكذوبة الشنعاء « حكاية البدوي » التي نبذها الادباء .

لم يخل ايليا ابو ماضي من الشوائب فالكمال لله وحده فقد كان شديد المحافظة على كتبه واوراقه لا يترك ادارة السمير حتى يتأكد ان خزائن الكتب ومكتبته الخاصة محكمة الاقفال وليس في هذا العمل ما يؤاخذ عليه الا انه كان يسبب الارتباك لمعاونيه فكثيرا ما كان يؤم الادارة في غياب ايليا شخص يريد ان يبتاع كتابا قرأ اعلانا عنه في الجريدة فيعتري الرفاق الحيرة والارتباك ويختلقون الاعذار لكون خزائن الكتب مقفلة وسبب هذا الحرص انه استخدم مرة منضدا فاكتشف بعد حين تلاعبه وجره الى المحكمة فجرمته المحكمة غير ان ابو ماضي تقدم من القاضي كي يصفح عنه رأفة بعائلته وبخلاف ذلك كان شديد العطف على معاونيه يتساهل معهم بساعات العمل ويدعوهم دائما بالرفاق زار تاجر صباح يوم ادارة السمير وبينما كان يبادلنا الحديث دخل العامل الذي كان يتولى تنضيد حروف الجريدة ليباشر عمله اليومي وكانت الساعة قد قاربت العاشرة ونصف فاخذ التاجر يتأمل ذلك العامل من رأسه الى اخمص قدميه ثم التفت نحونا ضاحكا وهتف بصوت عال « ليس كل العمال تدعى عمالا » فشاطرناه الضحك واحتمل فظاظة احد الطباعين اثناء الحرب العالمية الثانية لقلة الايدي العاملة وانصراف الكثيرين الى العمل في المصانع التي كانت تصنع العتاد الحربية للحكومة .

كذلك كان كثير الذهول فعندما يفرغ من كتابة مقال او يدعوه الامر الى الانتقال فجأة من المكتب الى المطبعة كان يطرح قلمه في اي مكان تقع عليه عينه وعندما يستفقده يكون قد نسي اين وضعه فتحدث البلبلة في الادارة . ولذلك كان يحمل دائما عدة اقلام يستعملها عند الاقتضاء . جئته يوما فوجدته قلق الافكار مضطربا فسألته السبب فقال ان احد مجلدي قاموس محيط المحيط قد فقد من الادارة وبعد بضعة ايام عدت وسألته عن المجلد المفقود . فابتسم وقال قد كان عند المجلد لاعادة تجليده . وكان قليل الاهتمام بترتيب مكتبته فتتكدس فوقها الاوراق والمطبوعات . وعلى خلاف ذلك شقيقه الاديب مراد ابو ماضي . فكان شديد الاعتناء بترتيب المكتبة واوراقه عندما كان يستلم ادارة الجريدة في غياب اخيه .

اختم هذا المقال بحادثة طريفة تدل جليا على رجاحة عقل الادباء الحقيقيين واعتبار كل فرد منهم منزلة الاخر .

دعيت مرة لترأس حفلة خطابية من خطبائها ارباب الصحافة العربية في مدينة نيويورك وكانت العادة ان يقدم عريف الحفلة اصحاب الصحف حسب قدمة الجريدة وكان نسيب عريضة الشاعر والكاتب الكبير يتولى تحرير جريدة اقدم عهدا من جريدة السمير وينتظر ان اقدمه اولا وايليا يعتقد ان له حق الاولية لانه صاحب جريدة وليس فقط محررا فضلا عن انه كان قد سبق نسيبا في تحرير تلك الصحيفة ولما اعيتني الحيلة جمعت الاثنين قبل ابتداء الحفلة وقلت لهما لندع الجرائد جانبا فاني سأقدمكما كاديبين كبيرين فمن منكما يريد ان يكون الاول ؟ فاجاب ايليا على الفور قدم نسيب وقال نسيب لا بل قدم ايليا فقدمت ايليا . واحتفظت بصداقة كليهما .

بروكلين ـ نيويورك — توفيق فخر

التربية الجامعية في الولايات المتحدة

بقلم يوسف اسعد داغر

الحقـــوق

مزاولة الشرع وممارسة القضاء هما من اقدم المهن التي عرفها الانسان عبر الاجيال . فقد طلعت علينا الحضارات التي تعاقب ظهورها خلال التاريخ ، بنظم شتى من الشرائع والقوانين تولى امر اعدادها وتنفيذها ، في كل مدنية من المدنيات المتلاحقة ، طائفة من رجال الشرع ، بين محامين وقضاة وفقهاء ، حاولوا تصريف وجه العدل في ما يرون من صون العدالة والحفاظ على حقوق الناس، بنصفة واخلاص .

والقاضي كالطبيب ، قد يبقى في العموميات او ينصرف عنها للتخصص في فرع من فروع الفقه الكثيرة ، كالقانون المدني ، والقانون الجزائي ، والقانون الدولي ، والقانون العقاري ، وقانون الجنح وغير ذلك .

حرص القوامون على القانون في اميركا ، منذ بدء تاريخ هذه البلاد على الائتمام بالشرع الانكليزي ، وهو شرع يكتسب التفقه فيه بالمراس والخبرة وبالوقوف على العرف والتقاليد المتبعة . فكان يكفي الراغب في تعلم القانون وممارسته ، حتى عام ١٨٠٠ ، ان يتدرب على مهنة المحاماة ويتضلع فن اساليبها في مكتب احد المحامين ، ردحا معينا من السنين ، ليصبح محاميا . ولم ينقطع الاخذ بالعرف المالوف حتى العقود الاولى من القرن العشرين .

والثابت تاريخيا انه انشئت كراس لتدريس الحقوق في بعض الجامعات الاميركية منذ اواخر القرن الـ ١٨ ومطلع القرن الـ ١٩ . فقد كان تعلم الحقوق على الغالب ، جانبا من التربية الادبية التي يطمع فيها مثقف خليق بهذا الاسم ، اكثر منه تخصصا في مجال الحقوق . ومن اشهر مدارس الحقوق التي انشئت في اميركا في اواخر القرن الـ ١٨ مدرسة لتشفيلد في ولاية كنيتيكت التي كانت تلقن الحقوق وفقا لبرنامج معين .

وتأسست ، بين ١٨١٥–١٨٧٠ ، عشرات من مدارس الحقوق كانت تنتسب من ظهورها ، للجامعات القائمة في البلاد . وبقي تعليم الحقوق والقانون فيها على نطاق ضيق ، بالرغم من الشهرة التي عرف ان يظهر بها نفر مختار من كبار اساتذته اذ ذاك ، اذ ان الفكرة التي سادت دنيا المحامين هي ان التخرج في القانون والتفقه في مجالاته لا يتعدى اجادة المهنة واتقانها .

وفي ١٨٧٠ ، وضع كريستوفر لانغدايل الاستاذ بجامعة هارفرد ، برنامجا معينا لتدريس الحقوق ، تبنته معظم المعاهد وانتهجت خطوطه الكبرى واعتمدتها مدة تزيد على ٨٠ سنة . ومنذ ١٨٩٠ فما بعد ، اخذت نقابة المحامين ، تهتم جديا بهذه القضية ، قضية تدريس الحقوق ، فادى اهتمامها بهذا الامر ، عام ١٩٠٠ ، الى تاسيس رابطة خاصة تربط معاهد تدريس الحقوق في اميركا وكلياته بجسم واحد . ومنذ هذا التاريخ ، اصبحت نقابة المحامين ، عن طريق لجنة خاصة الفتها تعرف بلجنة تعلم الحقوق وقبول الانتساب لعضوية النقابة ، السلطة الشرعية التي لها وحدها حق الترخيص بتأسيس معاهد جديدة لتدريس الحقوق في البلاد .

وقد شهد القرن العشرون طلوع عدد كبير من مدارس الحقوق وكلياته كما شهد تطويرا جذريا في برامج التعليم . ويفرض على من يروم درس الحقوق في اميركا اليوم لينال شهادة بكالوريوس في الحقوق ان يقضي سنتين في الدراسة الجامعية يتوفر فيهما على درس الموضوعات الاساسية ، ثم يقضي بعدها سنتين اخريين يتلقى الطالب خلالهما دروسا حقوقية معينة . اما من يرغب منهم في الاستاذية او شهادة استاذ علوم في الحقوق فيترتب عليه ان يدرس سنة ثالثة . ومن يطمع في الدكتوراه عليه ان يدرس سنة اضافية ينصرف فيها للدراسات مستفيضة حول موضوع حقوقي معين يعد بعده اطروحة تناقش امام لجنة خاصة .

وقد ظهر في السنوات الاخيرة ان مهنة المحاماة ، بصرف النظر عما لصاحبها من كفاءات واختبارات تلزم صاحبها ليجدد معلوماته باطراد — اذا ما شاء ان يماشي التطورات والنظريات الحديثة التي تستجد في مجالات الدراسة القانونية والحقوق ، كالحقوق الادارية ، والحقوق الدولية ، وغيرها مما يتعلق بالضرائب والرسوم ، وحقوق العمل والعمال . فلا عجب ان نرى كليات الحقوق مثلا تتعاون مع الهيئات القانونية التابعة للولاية على اقامة دورات للدراسات الحقوقية ، يستطيع من يشاء من المحامين ورجال القضاء ان يحضروها ويساهموا بمناقشة الموضوعات المطروحة فيها على بساط البحث ، ويطلعوا من خلالها على النظريات الجديدة التي تبرز في دنيا الحقوق في جميع انحاء العالم .

قسم الخدمات العامة

يعود تاريخ تعليم موضوع « الخدمات العامة » في الجامعات الاميركية ، الى اواخر القرن الـ ١٩ عندما اخذت الهيئات التعليمية بتنظيم سلسلة من المحاضرات تلقى على

● راجع الاديب عدد يناير صفحة ٢٦ .

الرجال والنساء خارج الجامعة ، على السواء .

ففي الولايات المتحدة اليوم نحو من ٣٠ مليون شخص ينتفعون من قسم الخدمات العامة في الجامعة في شتى المجالات والحقول . ان اول جامعة انشأت في اميركا قسما خاصا في مناهجها التربوية لموضوع « الخدمات العامة » هي جامعة شيكاغو ، وذلك بتنظيمها سلسلة من الدروس ، تعطى على الحضور او بالمراسلات ، لاناس لا ينتسبون للجامعة . وعندما تعين الدكتور تشارلز فانهيز استاذ الخدمات العامة في جامعة شيكاغو ، رئيسا جديدا لجامعة وسكنسن ، شرع في الحال بوضع برنامج شامل لقسم الخدمات العامة فيها . ونحت نحو وسكنسن جامعات أخرى نسجت على منوالها في هذا الصدد ، وحرصت كل منها ، على تنويع مناهج العمل والدروس المقرر اعطاؤها في قسم الخدمات ، وهي دروس ومحاضرات وخدمات تهم ، بالدرجة الاولى ، هذه الطبقة من الناس التي لا ينتمي اصحابها للجامعة .

ويحرص المسؤولون عن قسم الخدمات العامة في الجامعة على اعادة النظر ، من حين لاخر في برنامج هذا القسم وتعديله بما يتفق وحاجة الجماهير بحيث يعود بالنفع الجزيل على كل من يفيد منه بين البالغين ، خارج الجامعة والحياة الجامعية . من مواده ، مثلا ، دروس خاصة بالمتزوجين وما تقتضيه الحياة الزوجية من حقوق وواجبات ، واخرى بالوالدين ومسؤولياتهم ، واخرى تتعلق بشؤون الحياة العامة ، او بالشؤون الدولية وقضايا الساعة ، وغيرها مما يتعلق بالمسنين والطاعنين في الحياة والترفيه عنهم او بتأهيل المعاقين بدنيا واعدادهم للحياة المثمرة .

وقسم الخدمات العامة ينظم دروسا ليلية يتلقاها من لم تتوفر لهم اسباب التعليم الرسمي . فيتولى اساتذة اخصائيون بين الهيئة التعليمية ، امر اعداد هذه الدروس وتكييفها لتأتي منسجمة مع بعض الحالات الخاصة . ويقدم هذا القسم للطلاب الكتب والنشرات والتسجيلات الصوتية والموسيقية ، والمواد السمعية والبصرية . وهنالك مستشارون يعنى قسم الخدمات العامة بتعيينهم لدى بعض الهيئات والمنظمات التربوية والثقافية والفنية .

كذلك تؤمن محطات الاذاعة والتلفزيون التي تتوفر اليوم في كل جامعة كبرى ، ذرائع جديدة لايقاظ الوعي وتنوير اذهان المستمعين والمنصتين وهم في منازلهم يستمعون الى المذياع او أبصارهم متجهة لشاشة التلفزيون ، يتتبعون المناهج التربوية والبرامج التعليمية التي روعي في تحضيرها واعدادها مستويات المستمعين العلمية والثقافية والفنية .

وهذا الجانب من تأثير الجامعة في حقل الخدمات العامة يبرز على شكله الامثل وصورته الاتم في الارشاد الزراعي الذي تقوم به الكليات الزراعية ومحطات الارشاد الزراعي، باشراف وزارة الزراعة وتوجيهاتها ، وذلك عن طريق الوكلاء والمعتمدين الزراعيين او عن طريق المعارض الزراعية والمنزلية التي يجري تنظيمها بدقة لهذه الغاية . كذلك يسهم في هذا الارشاد ويؤمن الاخذ به على أوسع نطاق اعضاء نوادي الهاءات الاربع التي تنتظم في عضويتها ناشئة الارياف . ومن طريق الارشاد الزراعي التعاوني ، يتم للبلاد نخبة من الخبراء الزراعيين ويجري تصنيع المزارع وتعصير الاجهزة والاعتدة الميكانيكية التي يعول عليها المزارعون ، وتتطور وسائل تربية الماشية وتدخل التحسينات المطردة على عروقها ونسالها ، ويرتفع بالتالي مستوى العيش بين المزارعين وسكان الارياف .

وينظم قسم الارشاد الزراعي وفقا للمواسم ، حلقات تلقى فيها البحوث العلمية وتعالج بصورة مجدية المشكلات التي تعترض المزارعين ، يتراوح مداها بين عدة أيام وبضع اسابيع .

وتدليلا على النشاط والازدهار الذي بلغه قسم الارشاد الزراعي وهو جانب من حقل الخدمات العامة التي تؤمنها الجامعات اليوم ، هنالك اكثر من ٧٠٠ الف من الشبان الاميركيين ، يتلقون بالمراسلة دروسا خاصة وفقا لبرامج يعدها لهم قسم الارشاد الزراعي تساعدهم على استكمال تربيتهم الفنية والعلمية .

الحقل الاجتماعي

الحقل الاجتماعي يعكس ما في الانسان نحو اخيه الانسان من شعور واخاء ، فقد عرفه بعضهم بكونه : «مهنة وظائفية يؤديها الانسان للغير افردا او جماعات لتمكينهم من اقامة علاقات وتأمين مستويات من العيش الكريم تتفق مع أمانيهم ونزعاتهم والامكانيات التي يتمتعون بها ، مما يتفق ورغبات المجتمع الصحيحة ونزعاته الصادقة ». فدراسات الشؤون الاجتماعية ، اذا ما نظر اليها كمهنة، حقل لم يبرز لنشاط الانسان بعلم وفن واصول ، الا في القرن العشرين .

ودراسة الشؤون الاجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بكيفية تأمين المساعدة للاسر والافراد والهيئات التي يجعلها وضعها المادي بحاجة للمساعدة او تلك التي تدعو اوضاعها العاطفية والنفسانية والاجتماعية الى مؤازرتها ، كما هي الحال على الاجمال مع اليتامى والايامى والارامل ، والاطفال الذين قست عليهم الاقدار والحظوظ ، فشردتهم طوارىء الحدثان ، والمهاجر الذي اضطرته المصائب والنكبات لاجلائه قسرا عن مسقط راسه او كل طارىء طوحت به الظروف القاسية فاطرحته بعيدا عن الدار والجار .

وهذه الدراسة انبثقت من دورة نظمت في صيف ١٨٩٨ ، لفريق انقطعوا لاعمال المؤاساة ، وهو عمل اعتمدته اول ما اعتمدته جمعية اعتال الرحمة في

نيويورك . وفي ١٩٠٤ ، تطور هذا الدرس العملي واصبح موضوع تدريس يتلقاه طلاب مدرسة الاعمال الانسانية التابعة لمدينة نيويورك ، التي اصبحت في ما بعد ، مدرسة الشؤون الاجتماعية التابعة اليوم لجامعة كولمبيا .

وفي تلك الغضون انشأت جامعة شيكاغو ، معهدا ، كان قسما من اقسام الخدمات العامة فيها ، ولم يلبث ان صار هذا الفرع ، قسم التخصص بالدراسات الاجتماعية في الجامعة المذكورة . وامتدت العدوى الى مدن وحواضر اخرى ، كبوسطن ، وفيلادلفيا ، وسانت لويس . ولم تطل سنة ١٩١٠ حتى كنت ترى معاهد الشؤون الاجتماعية في خمس من القواعد الكبرى في تلك البلاد .

وقد تشعبت فروع التربية في الحقل الاجتماعي ، سيرا مع سنة التطور والرقي وتنوعت الى حد كان من بعض نتائجه الراهنة ان سارعت هذه المعاهد الى ان تؤسس في ما بينها ، رابطة خاصة تعرف عندهم برابطة المعاهد الاجتماعية ، وهي رابطة اصبحت في ما بعد المحور الذي يتعهد بحث مشكلات هذا الحقل ويناقش بحرية آراء الاخصائيين في القضايا المطروحة على بساط البحث ، والنظر مليا في التجارب التي توصل اليها العلم بهذا الصدد . واخذت هذه الرابطة على نفسها تحديد وتعيين المستوى الذي يجب ان يتوفر في معاهد التربية الاجتماعية ، والاجازة لها بالعمل ، الى ان اصبحت الرابطة المذكورة في عداد الهيئات التي يتألف منها اليوم المجلس الاعلى للتربية الاجتماعية في اميركا .

وقد كان من جراء التطورات التي المت بتعليم الشؤون الاجتماعية بين ١٩٢٠ــ١٩٤٠ ان قام بين المعاهد التي تعلم هذا الفرع تباين شديد ليس في المناهج والبرامج فحسب ، بل ايضا في الذرائع والوسائل والمستويات ، لا سيما بعد ان شدد قسم من هذه المعاهد على الاخذ بالتجارب والاعمال المخبرية .

وفي ١٩٣٥ قررت الجمعية الامريكية لمعاهد العمل الاجتماعي في البلاد اعتماد المعاهد القائمة في المؤسسات التربوية العالية ، الوارد اسمها في قائمة تصنيف الجامعات واعتبارها المؤهلة وحدها لعضوية هذه المدارس .

وكان تلقين هذا العلم من قبل ، يعطى على انساب واقدار موزعة على برامج الطلاب الجامعيين الذين هم برسم التخرج او موزعة على مناهج مشتركة بين الخريجين والطلاب ، وكانت بعض هذه البرامج الموضوعة تفرض سنتين من الدرس في هذا المجال لحملة شهادة البكالوريا. وفي عام ١٩٣٣ قررت هذه الرابطة انه لا يمكن قبول اي معهد في عضويتها ، ما لم توفر برامجه التربوية ، لطلاب التخصص ، سنة على الأقل ، من البحث العلمي . وفي سنة ١٩٣٩ جعلت هذه الجمعية لزاما على الكليات التي تؤمن تعليم الاجتماعيات أن تضم برامجها التعليمية سنتين في منهاج التخصص في قضايا العمل الاجتماعي وشؤونه ينال الطالب في نهاية المدة شهادة استاذ علوم بالحقل الاجتماعي .

ومن ابرز التطورات التي طرأت على موضوع الحقل الاجتماعي ، خلق شهادة الدكتوراه في هذا المجال . وهكذا ما كادت تطلع علينا سنة ١٩٥٥ حتى كان في الولايات المتحدة وكندا ١٣ كلية وجامعة فيها فرع خاص للتخريج بالعلوم الاجتماعية ، فينال الطالب فيها ، بعد ثلاث سنوات من الدراسة شهادة الدكتوراه .

ان رابطة التربية الاجتماعية هي المسؤولة في الدرجة الاولى عن المحافظة على المستويات التي حققها تعليم الشؤون الاجتماعية وانمائها وتقديم الاقتراحات التي ترمي لتطوير التربية في الحقل الاجتماعي . وتتألف من اعضاء يمثلون الهيئات والجمعيات التي تعنى بتحسين العلاقات الاجتماعية بين الناس ، ومن بعض الخبراء بهذه الدراسات وبعض معاهد التخصص بهذا الحقل .

ففي الولايات المتحدة اليوم اكثر من ٥٠ معهدا معترفا لها بتدريس الشؤون الاجتماعية ، بعضها مرخص له بتهيئة الأخصائيين واعدادهم في بعض نواحي العمل الاجتماعي ، كالطب الاجتماعي والامراض العقلية وغير ذلك .

تربية المعلمين واعدادهم

قبل ١٨٣٨ ، لم تكن تربية المعلمين واعدادهم في اميركا موضوع عناية خاصة في المؤسسات التربوية العليا كالكليات والجامعات ، مع ان عددا كبيرا من خريجي هذه المعاهد انصرفوا للتعليم واتخذوا لهم منه مهنة ومسلكا .

وهذا التاريخ ١٨٣٨ ، يجب حفظه وتسجيله في الذاكرة اذ ان في هذه السنة بالذات ، تأسست اول دار لتخريج المعلمين في اميركا ، هي دار المعلمين التي انشئت في مدينة لاكسنغتن ، من اعمال ولاية ماسنشوتس ، الغرض من انشائها اعداد مدرسين للمدارس الابتدائية . ثم لم يلبث ان تلاها ظهور عدد آخر من دور المعلمين في البلاد .

وشروط الانتساب لدور المعلمين اخذت تبرز بشيء من الصلابة والتشدد منذ عام ١٩٠٠ ، اذ اصبح على طالب الانتساب اليها ابراز شهادة تخرج من مدرسة ثانوية . ومن جهة اخرى نرى دور المعلمين نفسها ترفع من مستوى التدريس وتقوي من برامجها التعليمية ، بحيث اصبح مستوى التعليم فيها موازيا للسنتين الاوليين من الدراسة الجامعية . وفي ١٩٢٠ ، اصبح معظم دور المعلمين تعد خريجيها لشهادات جامعية ، مهيئة لهم للعمل في المدارس الثانوية والابتدائية . وفي السنوات العشرين الاخيرة ، تطورت تربية المعلمين اذ اصبح ثلث دور المعلمين واكثر الكليات عامة تولي اعداد المعلمين المنزلة الاولى من اهتمامها ، الى جانب اهتمامها بتدريس

الاداب والفنون ، والتعليم المهني الاعدادي .

وقد سبقت الجامعة في امیرکا ، غيرها من المؤسسات التعليمية ، للاهتمام باعداد المعلمين للمدارس الثانوية ، اذ سارعت كل من جامعات مشيغن ، وايوا ، ووسكنسن الى انشاء كراسي دائمة فيها للتربية والتعليم ، وذلك بين ١٨٧٣-١٨٨١ وكانت الولايات الامريكية ، حوالي عام ١٨٩٢ ، تعد اكثر من ٣٠ جامعة فيها كرسي خاص لفن التعليم وتخريج المعلمين .

بين مهنة التربية والابوة اكثر من سبب وآصرة ، اذ ان المربي هو الذي يثقف ويهيء المعلمين ، على اختلاف نحلهم ، للعمل المهني الذي يقومون به في حقل التعليم . كذلك بين التعليم والحرف الاخرى ، مسلكية او مهنية روابط واواصر تجمع في ما بينها وتوحد اذ ان عددا كبيرا من المنتمين الى عضويته بعض النقابات يشغلون اوقاتهم ، كليا او جزئيا ، بالتعليم . فبين اعلام المهندسين والكيميائيين والفيزيائيين اليوم من يعملون اساتذة في كلية او جامعة وفي غيرها من المعاهد المهنية ، بينما يجري تلقين الحرفة عمليا ، بصورة الراس والمزاولة، من قبل خبراء هم اعضاء في النقابة .

والمؤسسات التربوية تاتي مراتبها من اعلى الى اسفل كما يلي : الجامعة - الكلية - المدرسة الثانوية - المدرسة الابتدائية فروضة الاطفال . ان نصف عدد المعلمين في اميركا ، وهو عدد يزيد على المليون ، يعلمون في المدارس الابتدائية .

ارتفع مستوى برامج التربية والتعليم في دور المعلمين ، في الاونة الاخيرة ، بعد ان توفرت لخريجيها فرص العمل . ان معظم الولايات الاميركية تقتضي ان يكون المعلم حاملا شهادة رسمية بفن التعليم ، قبل ان يكلف العمل في المدارس العامة . وهناك عدد كبير من المدارس ، ولا سيما في المدن الكبرى ، تفرض على من يرغبون في الانتساب اليها شروطا اضافية كالحصول على شهادة الولاية الرسمية . فالاساتذة المهنيون يخضعون لاعداد مسلكي صارم . وفي ١٩٥٤ ، اصبح المجلس الاهلي لتربية المعلمين واعدادهم ، الهيئة الرسمية الصالحة الترخيص بدور المعلمين والاعتراف بها . والمجلس المذكور ، يتالف من ممثلين عن الرابطة الامريكية لدور المعلمين ، ومن اعضاء يمثلون الرابطة الوطنية لمجالس المدارس ، واللجنة الوطنية التي تشرف على تربية المعلمين والمقاييس المهنية ، ومن ممثلين للمنظمات التربوية في الولاية ومفوض التربية فيها .

يوسف اسعد داغر

قصيـــــدة

لقد جفت البحيرة
ونضب معين الاغوار
ايتها الرياح الباردة
التي تهب في صحرائي

وفي جزيرتنا المستلقيه
كعروس شجيه
تتململ على سواعد
الخليج الازرق
في جزيرتنا السمراء
وعلى سعف نخيلها الشاحب
جفت حناجر الطيور
وصوحت الاوكار —

ايها الملاح
ذو السواعد المتعبه
والعينين المشيعتين بالنهم
اواه ايها الملاح
لقد تعبت الرياح
وهي تنفخ شراعك
وتملؤه بالاطماع
وتدفعه رويدا
وفي شيء من الجزع
محاذية به
شواطىء جزيرتنا
الصخريه
وها انت ذا تلقي
مراسيك
حيث تستقبلك الاطيار
ذات الحناجر المبحوحة
وحيث تذبل في الربيع
الازهار

الرياض ناصر بو حيمد

القصة واليد اليمنى

بقلم ناشد سعيد

ها هي ذي الاوراق أمامي ، والقلم في يدي ، وانا الان بجلستي هذه اعيش لحظة يعيشها كل كاتب او اديب ، ولكن الفرق بيني وبينهم ، اني لست اعرف ماذا ساكتب ، ومع ذلك فاني ما زلت اخط الحروف متصلة تارة ومنفصلة تارة اخرى واكتب جملا بكلمات متتابعة ، وكانني اعرف كاي كاتب قصة ذكي ، ذاك الذي قد حضر موضوعه في فكره ، ولهذا لم يعد يجد اي عناء في الكتابة ، وما عليه الا ان ينقل ما بخلده الى الاوراق التي امامه ، تماما كصاحب اي حانوت ينقل الاشياء من مكان الى مكان ، من مكان مخفى الى محل ظاهر يعرضها للعيان ويجلب لها الشارين . وانا بدوري احب لو انني املك هذه الافكار لانقلها من خلدي الى الورق ، ولاجلب لها القراء والمعجبين والساخطين على السواء . ولقد استعنت على ذلك بهذه الزجاجة من الخمر ، فلعلها توحي لي بموضوع شارد . .

ولكني سبق ان قلت اني لست اعرف ماذا ساكتب ، والحقيقة انني لست جاهلا لهذه الدرجة ، فانا مثلا اعرف اني جلست لاكتب قصة لمجلة ادبية جامعة اعلنت عن مسابقة للقصة القصيرة ، ووضعت شروطا حددت بها حتى عدد الكلمات . والقصة التي تفوز جائزة لا باس بها ، تغري اي كاتب كان يجلس ليكتب حتى وان لم يكن يفكر بشيء يكتبه . اعرف هذا ولكنه لا يكفي ، ولو اني نقلته من فكري الى الورق فلن يملأ اكثر من سطر واحد ، والمجلة تطلب ان تكون القصة لا تقل عن الفي كلمة ، ومعنى هذا اني لن افوز بالجائزة ؟

يا للشيطان ، لقد قفزت الى فكري قصة رائعة استطيع ان املأ بها صفحات تبلغ كلماتها الالفين واكثر . لماذا لا اكتب قصة عن حياتي ، حياتي المعذبة التي ما اظن احدا قد عاشها ، انا المسكين الذي جلس ليكتب ليس كما يكتب الناس كما كذبت من قليل وقلت ، انا اجلس لاكتب بيدي اليسرى ليس لانني ايسر يدا ، وانما ليس لي يد يمنى وليس هذا بشيء فيما لو انني خلقت منذ البدء هكذا ، ولكن يدي قد بترت منذ اقل من عام بعد تلك الفاجعة المروعة التي حلت بي لما تداخلت يدي بين مسننات آلة النسيج ، تلك المسننات التي اكلت اصابعي وقسما من ذراعي .

لقد قرات مرة ان احد الكتاب جلس جلستي هذه يفكر بقصة يكتبها ليقدمها الى مسابقة ايضا ، ولما لم يستطع خلق اي شيء كتب قصته هو ، وكان ان فازت ، فلماذا لا احذو حذوه واشير بالتفصيل الى تلك الحادثة الرائعة ؟ ليس هذا معناه اني اقلده ، فقد كتب هو عن حياته ، وساكتب انا عن حياتي ، فلا مجال للظن هنا باني اقلده .

ولكن هذه الفكرة لا تعجبني ، يجب ان اكتب عن غيري ، عن هؤلاء الناس الذين يحيطون بي ، فالكاتب الذي يكتب عن نفسه ، لا يستحق الخلود يجب ان يعيش حياته فقط دون ان يكتبها ، لانه من الحقارة برايي ان يتاجر الانسان بحياته ، ويعرضها هكذا بكل بؤسها وذلها على الناس ، وهو فخور بذلك ، فيكون كمن يدال على ابنته .

ولهذا ، فلن اكتب عن حياتي ، لاني احتقرها واخجل منها ، وها انذا الان تشمئز نفسي كلما تذكرت الاعمال التي قمت بها واشعر بالعار لما يذكرني احد بها ، ولو انني كنت قد عملت باعمال مجيدة وشريفة لتغير الموقف ، ولكن من الجائز ان افكر بالكتابة عن نفسي .

حسنا اذن ، لقد نفضت يدي من قصتي ، فلافكر بشيء اكتبه ، يا الروعة ، اني اتذكر الان ان اجمل الاعمال الادبية تلك الاعمال الواقعية التي تصور الحادث الانساني كما وقع وجرى وليس كما ينبغي ان يقع ويجري ، وليس ضروريا ان تكون الحادثة كبيرة لدرجة خارقة حتى تستحق الكتابة ، اذ ان هناك حوادث تافهة بحد ذاتها ولكنها تستاثر بعقول الناس ، مثلا ، فلان طلق زوجته ، ان هذا شيء عادي ، وتجيزه القوانين ولكنه يثير اهتمام اكثر الناس ويستقطب انظارهم جميعا ، فلماذا طلقها ؟ هل خانته مثلا ؟ . .

هذا شيء حقيقي ، فلا يضيرني اذن ان اكتب حوادث تافهة كهذه ، فلاكتب اذن عن زميلي او صديقي هاني ، ولا باس الان ان اسميه صديقا فلاكتب قصة رسوبه في الجامعة ، تلك الحادثة التافهة بحد ذاتها لانها تتكرر كثيرا ، في كل عام ، بل وفي كل يوم ، وليست بالخبر البعيد التصديق ، او بالشيء الذي لم يتعود العقل سماعه . ومع انها تافهة ، فقد كادت تودي به الى الانتحار ، لانه كما قال ، لم يرسب لانه لم يستحق النجاح ، بل لان زميلته الغبية « سلوى » قد نقلت عنه كل حرف سطره ، حتى الكلمات التي لم تعرف قراءتها رسمتها رسما ، ساعدها على ذلك جلوسها بجانبه ، وعدم اتخاذه الحذر منها ، وكان تبعا لذلك ، ان اكتشفت لجنة التصحيح تماثل اجابتيهما ، وكان ان حرمتهما من النجاح ، بل لان زميلته الغبية بذلك ، اطبقت الدنيا في وجهه ، فهي المرة الاولى التي يرسب فيها ، وقد عاش حياته كلها باسلوب مثالي ، وها هوذا الان يعاني شعورا بالحقارة ،

قصة

دفع به لان يفكر بالانتحار ، ولكن ذلك لم يطل ، فقد جاءت سلوى واعتذرت منه واعلنت ندمها واسفها وهي الانثى الجميلة التي طالما تمنى نوال رضاها ، فكان ان خفف ذلك عنه وجعله يتسامى من جديد .

ولكني الان اشعر بتفاهة القصة كلها ، فلو انه انتحر لكانت قصته تستحق الكتابة ، لانه لم يخسر شيئا ، ولم يربح كذلك ، لقد خسر عاما من حياته ، ولكنه ربح صداقة سلوى هذه وحبها ، بحيث تعادلت الكفتان ، والخروج من القصة هكذا لا يثير اهتمام احد اذ يجب ان تحقق الخسارة او الربح حتى يكون للقصة قيمتها بتاثيرها في الناس .

وما دمت قد اتيت على ذكر الخسارة والربح ، وافترضت انه يجب ان يكون هناك خسارة او ربح حتى يكون للقصة مكانتها ، فلماذا لا اعود واكتب عن نفسي ثانية ، قصة خسارتي الفادحة مع خطيبتي ، ولا ضير علي من ذلك ، ويبدو انه ليس صحيحا ما قلت، من ان كتابة الانسان عن حياته شيء من الحقارة

اجل ، ليس من ضير علي في ان اعود وادور حول نفسي واكتب قصة من حياتي ، والارض بكل عظمتها تدور على نفسها في نفس الوقت الذي تدور فيه حول الشمس فاكون انا اسمى من الارض واكبر قيمة منها مع اني اعيش عليها واتنسم هواءها واشرب ماءها ، بحيث يظهر جليا انها اسمى مني بكثير ، وليس من مجال للادعاء بانها اقل قيمة مني ، ومن يدري ، فقد يكون ذلك الكاتب العظيم الذي كتب قصة عن حياته وفاز بالجائزة ، اذكى مني واسمى واتبل ، ومع ذلك ما وجد ضيرا في ان يكتب عن نفسه .

وقصتي مع ليلى خطيبتي ، قصة تمثل فيها الخسارة افدح تمثيل ، بحيث استطيع استدرار دموع بعض طيبي القلب ، فلاسردها اذن :

كنت احبها بشكل جنوني ، حب دفع بي لان اخطبها ، ووافق أهلها وهي كذلك ، ورحت اعمل واعمل لكسب المال الذي يحقق لها الرفاهية والعيش الهنيء ، حتى استطعت تاسيس بيت رائع تستطيع العيش فيه بسعادة . لقد ضحيت من اجلها بكل شيء ، باصدقائي وسهراتي ، واخلصت لها ، وبادلتني هي الاخرى حبا بحب ، ومنحتني كل نفسها ، لدرجة اني لم اعد احسد الشعراء والكتاب الذين يتغنون باسم ليلى ، ليل نهار لاني لا اناجي ليلى فقط واسمعها كلمات الحب والغزل ، بل احيا معها حقيقة والمسها واعيش مع الجسم والقلب بآن واحد ، ولم يبق الا القليل حتى تكون لي باجمعها حتى بافكارها .

الى ان وقعت لي تلك الحادثة المشؤومة ، وبترت على اثرها يدي اليمنى من تحت المرفق بقليل ، وعانيت منها الالم الكثير ، كانت فجيعتي بها اكبر من ان يتحملها مخلوق مثلي ، وكان مما يهون علي ويخفف من بلواي اني فقدت يدي وليس عيني او حياتي او ليلى مثلا ، ويكفيني ان لي انسانة احبها وتحبني استطيع ان اجد عندها العزاء .

ولكن الضربة التي تلقيتها من ليلى كانت اكبر بكثير من الضربة التي اصابتني بيدي ، فقد تناست كل حبنا واخلاصنا ، وتخلت عن كل ما يسمونه الشرف والانسانية ، لما عرفت ما حدث لي ، وكان ان رفضتني زوجا لها ، وانا الذي ضحيت بكل شيء من اجلها ، ولم تقطع يدي الا بسببها ، فقد كنت اعمل اعمالا اضافية من اجل الحصول على المال ، ولي دراية كافية بميكانيك الالات الناسجة ، فاردت ان استغل هذه الدراية ، بتحصيلي مزيد من النقود وبالتالي مزيد من السعادة لليلى ، ولكن ها هي ذي الان ، تتنكر لي وكأني انا الذي اذنبت بحقها .

على كل ، اني اكذب لو قلت اني لم اتألم لفقدها ، ولكني استطعت ان اهدىء نفسي ومشاعري واتقبل الوضع الجديد ، برضاء تام .

او ترى هذه القصة تستحق الكتابة لقد كانت الخسارة فيها فادحة ، خسرت يدي وهنائي ، وبالتالي ليلى وهذه الخسارة كما قلت ، قد تستطيع استدرار بعض دموع طيبي القلب ، ولكني لم اعد اريد ان يشفق علي احد ، ولا ان يمنحني انسان جائزة القصة لمجرد اني حركت فيه احاسيس الشفقة والرحمة ، ولن اتقبل هذه الشفقة من غير الله . فلافكر اذا بموضوع اخر غير هذا احصل به على الجائزة بشرف وجدارة .

انني غبي من غير شك ، فلنفرض اني فزت بالجائزة ، فان تجارتي ستكون خاسرة ، فلقد سقت اكثر من ثلاثة مواضيع كل واحد منها يصلح موضوعا رائعا لقصة ناجحة ولكن لا باس ، ان الشعور بالخسارة وحدها يكفي لان يكون الانسان رابحا شعوره هذا .

ولاسق اذا مزيدا من المواضيع تكلما ازدادت خسارتي ، كان معنى ذلك اني افعل شيئا ، ولا باس في ان اشبه بجحا وقصة تجارته بالبيض .

لا شك بانني ثمل الان ، فهذه الزجاجة الفارغة ، كانت ملانة منذ قليل ، وانا الذي شربتها طبعا ، ولكني لا اصدق بانها اسكرتني بهذه السرعة ، فهي لم تتعد المعدة على ما اظن ، فكيف بلغت الدم ، وجالت في الجسم وتركزت في الدماغ ، على كل ليس هذا موضوعا اتحدث به ، ولكني احس بحاجتي لمن يشعرني باني لست سكرانا ، وانا احس بانني احوج ما اكون لان اشعر بانني صاح ولست اعرف لماذا ، قد يكون ذلك لاستطيع كتابة موضوع ما انهي به هذه القصة اللعينة التي ارهقتني ..

يبدو انه مهما كتبت ومهما انتقلت من موضوع لموضوع ، فلن استطيع كتابة قصة تستاثر باعجاب هؤلاء الذين سيحكمون لمن تكون

الجائزة . والادهى من ذلـك ، ان يكونوا بلهاء او اغبياء لدرجة يقيسون بها القصة بمقاييس ثابتة وضعهـا بعض كتاب القصة الفاشلين ، كـان تكون لها عقدة ، ولها مدخل ومخـرج معقولين ، الخ .. مـن هذه المقاييس التافهة التي تشبه ميزان يوم القيامة بحيث توزن فيه اعمال الناس كلهم بدرجة العدل الواحدة .

ولكني اذكر بان اول قصة كتبها كان اسمها (ماسي الحياة) ولقـد اخضعتها لهذه المقاييس الموضوعة ، ومـن عجب انها فازت بالجائزة الثالثة وكل ما فيها عقدة بسيطة تتلخص بان احد الكتاب كان ينشر قصصـا مليئة بالماسي والفواجع الانسانية ، وكان يدعي ان قصصه هذه من صميم الحياة ولب المجتمع ، وكانت هناك قارئة بلهاء اعجبت بـه ايما اعجاب وارادت ان تحكي له قصتها الواقعية المليئة حقيقة بهذه الفواجع التي تقرا عنها، وكان ان اجتمعت به فوجدته اشد الناس كفرا بما يكتب ، ويقول لها صراحة بان كل ما جاء في قصصه كذب وهو من نسج الخيال وان الواقع يظل دائما كتابا مطويا لا يجرؤ احد على فتح صفحاته ، والحقيقة انني كنت آنذاك اعبر عن رايي دون ان ادري ، فقد كانت فكرة تجارة الانسان بحياته ، مسيطرة علي شخصيا ما وما زالت كذلك . وكانت النهاية انها لم تقص عليه شيئا من قصتها على خلاف ما توقع القراء ، اللذين راحوا يعدون انفسهم لسماع ماساة مروعة ، بـل قراوا خبر زواجها منه ، وايقنـوا حينها ان ماسي الحياة الحقيقية تظل فعلا كتابا مطويا لا يجرؤ احد على فتح صفحاته .

ويوم فازت هذه القصة بتلـك الجائزة ونشرت في المجلة مع صورة رائعة احتلت نصف الصفحة الكبيرة ، اعتقدت لمدة من الزمن ان القصة ، كل قصة ، يجب ان تخضع لهـذه المقاييس التي وضعها اناس خبيرون بصناعة الادب .

ولكني ما لبثت بعد مدة ان انكرت هذه المقاييس وخرجت عليها ، فـان حياتي العادية التي كنت احياها يوم كنت انسانا كاملا تلك الحياة البسيطة الخالية من التعقيد ، ونفسيتي الهادئة ، دفعت بي لان اكتب قصصا بسيطة خالية من كل عقدة . وكنت اعرف حقيقة بان هذه القصص اسمى واروع من تلك التي كنت افتعل لها العقد والحبكات . تلك التي فازت احداها بالجائزة ؛

يبدو انني بحاجة الى كاس من الماء هذه المرة ، فاني احس الظمـا بحلقي ، وهذا يدل دلالة واضحة على انني لست سكرانا ، لاني اعرف ان الثمل لا يشتهي غير المزيد من الخمر حتى الان ، هذا ما كنت اريده كـي استطيع متابعة الكتابة . ثمة امـور تزعجني وتكشف لي انـي انسان معقد تماما كقصة اولى لكاتب ناشيء يحاول ان يفوز بها بالجائزة الاولى ، ولهذا اختلق لها كل ما في الحياة من عقد وازمات ، فان ماساتي بيدي اليمنى تزداد هولا بعيني يوما بعد يوم ، بالرغم من انني حاولت كثيرا ان انسى ذلك وارتضيه كامر واقع .

ولكن الان ، وانا اهم بان اتناول كاس الماء اطفيء به ظماي ، اجدني مضطرا لان اترك القلم من يدي كـي استطيع تناول هذه الكاس ، لذلك ، سينقطع تفكيري قليلا وانسـى الموضوع الذي بدات اكتب الفكرة الاولى منه ، ولو انني ما زلت امتلك يدي اليمنى لكان الامر على غير هذه الصورة ولم اكن لاضطر لان اترك القلم واوقف تفكيري وانسى مـا اكتبه . هذه الاشياء تشعرني باني لم اعد انسانا بسيطا سهل الفهم طيب القلب ، كما كنت في السابق والقصص التي ساكتبها بعـد الان ستكون مشوشة الفكـرة ، شوهاء الاسلوب متفككة ، مرهقة ، لا اثر للترابط المنطقي في حوادثها ، ويجب ان اكتب الان شيئا مثـل (ماسي الحياة) حتى افوز بالجائزة . وانـا على يقين من انـي لو ارسلتها هـي نفسها مـن جديد ، لفازت باحـدى الجوائز ، ولكنهم ــ ويا للشيطان ــ قد اشترطوا ان لا تكون القصة حتى منشورة قبلا ؛ وانا اذكر اني كنت اسارع وارسل كل قصة اكتبها الى المجلة لنشرها ؛ فكانني الاب يسارع لتسجيل ولده كي يشعر الناس بان هذا المخلوق يخصه ، ولا يشاركه احد في ملكيته ، وليس لدي غير قصتين لم تنشرا حتى الان ، لان رئيس تحرير المجلة لم يعجبه اسلوبهما ، وقال لي في رسالة اعاد معها هاتين القصتين (كنت اعهدك اكثر نضوجا ومنطقية في قصصك الاولى ، ولست اعرف ما الذي طرا عليك حتى تخليت عن اسلوبك الفذ ، وطريقتك الرائعة ، آمل ان توافيني بشيء جديد يعيد لنفسي ثقتي بك واحترامي لك) .

ومع ذلك ، فلسوف ارسل هاتين القصتين ايضا الى المسابقة ، وليكن ما يكون ، فانا اشعر بانها اروع ما كتبت من قصص واقعية لان واحدتهما قد عشتها كلمة كلمة وفصلا فصلا ؛ والثانية قد قصت علي ولم اضف عليها شيئا من عندي ، ويكاد يبلغ بي الغرور درجة اعتقد معها انـي سافوز بجوائز القصة الثلاث وليس واحدة منها ، فكل قصة من هـذه القصص تستحق الجائزة وخصوصا هذه التي اكتبها الان ، ولا اعرف كيف انتهي منها ، بالرغم من ان كلماتها قد تعدت الالفي كلمة ، ولكني سأستمر في الكتابة ولو بلغت مليونا مـن الكلمات ، ولن اتقيد بهذا الشرط اللعين ، فكم يكون جميلا غدا لمـا تظهر المجلة ويفتحها كل قارىء ليعرف من الذي فاز بالجوائز دون ان ينازع ويقرا هذه القصص ويعجب بها حتى وان كانت تخالف كل مبادئه ، لا لشيء الا لانها قد فازت بالجائزة ، ومن قبل بتقدير الحكام .

اقول كم يكون رائعا لما يقرا هؤلاء القراء الخبر هكذا : (كاتب واحد ،

مع الصمت

يا صمت ! يا مقبرة الان سمرت حروف البهم الاخضر
يا صمت ! يا صومعة فجرت ينبوع اخصاب على القفر
يا صمت ! زعزع .. خلنا نشرب في الازاميل دنى مبدعه
في عيننا نمتد .. في فاسنا نصنع اسطورتنا المترعه
يا صمت ! وطواط ؟ . ويمتصنا اللالون ، واللاشكل ، والمنتظر ؟
والبلد الرافعنا راية في سوفه ، الرحيب ، لم يتكسر ؟
اواه .. ما ذاك البعيد البعيد
ينداح اشكال فراغ جديد ؟ !

حلب — علي الزيبق

يفوز بجوائز القصة الثلاث) وتحتها بخط اصغر منه يقرأ (القصة واليد اليمنى) تفوز بالجائزة الاولى ، و (اعواد القنب) تفوز بالثانية ، و (كنت انسانا) تفوز بالثالثة و (الغيوم على الارض) تنال الاعجاب ونعد القراء بنشرها بعدد قادم .

... يبدو هذا مذهلا حقا واكون مغرورا لدرجة مريعة ان صدقت ذلك او انتظرته . ولكن هذا الراس الذي يدور قد ملأ خلاياه كلها بهذا المعتقد ، ومن يدري ، فقد يكون هذا تصعيدا لامالي التي وجدت اكثر من عائق يقف في سبيلها ، وقد يكون منفذ الامان لكل عقدي النفسية ، ولكن المشكلة الرئيسية تظل بلا حل ، تردني لواقعي دائما الى ان استطيع الكتابة باليد اليمنى . عندها فقط اعتقد بان نفسي قد صفت من عقدها وحينها قد اعود واكتب قصصا مثل (مآسي الحياة) ولكني اظنني سامميها ان حدث ذلك مرة ثانية (مهزلة الحياة) .

.. آه يا لحلقي ، اما ارتوى بعد ، لماذا كل هذا الظمأ ، وهذه القنافذ اللعينة كانت فيما سبق تهدي، اعصابي فما بالها الان تزيدني عصبية وشقا ، وتزيد من شعوري بطعم المرارة بحلقي ، او تراني قد سكرت فعلا وفقدت توازني ، لا اظن ذلك ، لاني ما زلت ادرك اني ممسك بالقلم باليد اليسرى (اجل باليد اليسرى) واخط بسرعة هذه السطور التي لا اعرف كم سيبلغ عددها ، واستطيع ان اتذكر ان من شروط القصة التي وضعوها ان تكون كلماتها حوالي الالفين ، ومعنى هذا اني لو استمررت في الكتابة فساخرج عن هذا الشرط وقد تستبعد قصتي هذه ، هذه القصة التي اكتبها خصيصا للمسابقة ولكن فليذهبوا الى الجحيم ، وليرفضوها ان شاءوا فاني احس بظمأ للكتابة يفوق ظمأي لكاس جديد من الماء ، ولن اقيد نفسي بشيء من اجل الفوز بهذه الجائزة الحقيرة

الان عادت نفسي لصفائها ، واصبح باستطاعتي ان اخط قصة جيدة تفوز باعجاب الحكام ورضائهم ، وبالتالي بالجائزة ، واختلق لها عقدة رائعة ونهاية مذهلة مثل نهاية الصاروخ الروسي الذي حط على سطح القمر كما يقولون ، وارسل اشارات تفيد ان درجة الحرارة في النهار على سطحه تفوق درجة غليان الماء وفي الليل تكفي لان تجمد الهواء .

.. هؤلاء الروس الذين وصلتوا القمر مع كل كفرهم والحادهم ، وانا المؤمن بالرب والنعيم والجحيم والملائكة والشياطين ، لا استطيع حتى الكتابة باليد اليمنى ، من عجب اني لما اتذكر ذلك ، تعود لنفسي عقدها كلها ، واضيع في متاهة كبيرة ترهق مني العقل والجسم والقلب ، ولا اعود بمستطيع التفكير بشيء اكتبه وانسب مخرج لي ان اترك القلم قليلا واقوم وافتح زجاجة الخمر الثانية ، وان املأ الابريق ماء واجلس من جديد افكر بموضوع يبعد هذه المرة عن التفاهة اكتبه للمجلة .

مرت ساعة على ما اظن ، وبالرغم من ان الساعة في يدي ، فانني لا استطيع ان اتبينها جيدا ، وكل ما ادركه هو ان الزجاجة الثانية ، قد فرغت ، واني لن استطيع كتابة قصة جيدة تستحق الجائزة ، ما دمت امسك القلم خطأ بهذه اليد التي تجعلني اعاني مشكلة معقدة سبق لي ان عانيتها في اول عام مدرسي ابتدات فيه بتعليم اللغة الانكليزية . بصورة لا تستقيم معها الفكرة التي اود كتابتها ، لانها هي الاخرى عوجاء بالفطرة ، لدرجة تتشابه مع نفسي ، حتى يصعب ان تتفقا وتتفاهما ، كما قرات في احدى ترجمات الافلام ، ولم افهم منها شيئا آنذاك ، اما الان فاني لا افهم هذه الكلمات ، فقط وانما ادركها تمام الادراك .

اني اشعر براسي يدور ، وبشعور ضخم للقيء ، وافراغ هذه القاذورات من جوفي عن غير الطريق الطبيعي .

حسنا .. ولتتلوث هذه الصفحة بساطل اكتب ، لاني احس الان باني اكتب بصورة صحيحة تماما كما كنت في الماضي ، واستطيع في نفس الوقت ان اتناول كأسا من الماء واتمخض به من دون ان ارفع يدي عن الورق واقطع عن نفسي تفكيرها وابدا كتابة قصة رائعة اظنها ستفوز بالجائزة هذه المرة ؟ .

دمشق — ناشد سعيد